

موسى عليه السلام والعبد الصالح

المهنداس
عبد
الرفاعى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. كون القرآن الكريم قول الله تعالى ، وبالتالي صياغة لغوية من الله تعالى ، يقتضي أن تحمل هذه الصياغة لكل جيلٍ من المعاني والحكم والعبير والأدلة والبراهين ما يناسب علم هذا الجيل وحضارته ، دون أن يُناقض ذلك الأدلة والمعاني التي تحملها الصياغة ذاتها للأجيال السابقة واللاحقة لهذا الجيل .. فالقرآن الكريم بكل ما يحمله من صورٍ صالحٍ لكل زمان و مكان ، و لا يمكن تأطير أيّ عبارة قرآنية في إطارٍ مُحدّدٍ من الزمان والمكان .. وهنا سؤال يطرح نفسه .. كيف ينسحب ذلك على القصص القرآنية التي تصوّر لنا أحداثاً مع أشخاصٍ محدّدين في أمكنة وأزمنة محدّدة ؟ .. وكيف ينسجم قولنا إنّ القرآن الكريم بكل ما يحمله صالح لكل زمانٍ ومكانٍ ، مع أنّه يحمل الكثير من القصص التي تصوّر لنا أحداثاً وقعت في أزمنة وأمكنة محدّدة ؟ ..

.. الزمان والمكان ، هما انعكاسٌ في نفوسنا لكل ما يقع تحت حواسنا من ظواهر ماديّة مخلوقة .. وهذه الظواهر تستمدُّ حيثيات وجودها في كلّ لحظة من الخالق سبحانه وتعالى ، فدوران الطاقة المودعة في جسم ذرّات هذا الكون ، و الذي يعطي هذا الكون

حيثيات وجوده ، هو بمشيئة الله تعالى ، ولولا ذلك لزالَت ذرّات هذا الكون ، و بالتالي لزالَت السماوات والأرض ، ففي كل لحظة تحتاج السماوات والأرض إلى مشيئة الله تعالى حتى تبقى في عالم الوجود المكاني والزمني .. وبالتالى هذا الكون يتجه إلى الزوال ، وما يمنعه من الزوال هو قدرة الله تعالى ، فالمادة بوجودها المكاني والزمني ليست أصيلة في هذا الكون ، و ليس لها وجودٌ مستقلٌ عن قدرة الله تعالى ومشيئته ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : 41]

ففي كل لحظة تحتاج كل ذرّة في هذا الكون إلى أمر الله تعالى ، حتى تخرج من حالة العدم ، وتقوم في عالم الوجود المكاني والزمني ..

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ [الرّوم : 25]

وعلم الله تعالى المطلق يُحيط بالكون من بدايته إلى نهايته زماناً ومكاناً ، فلا فارق بالنسبة لله تعالى بين ما كان وما يكون وما سيكون ..

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ وَمَا

تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي

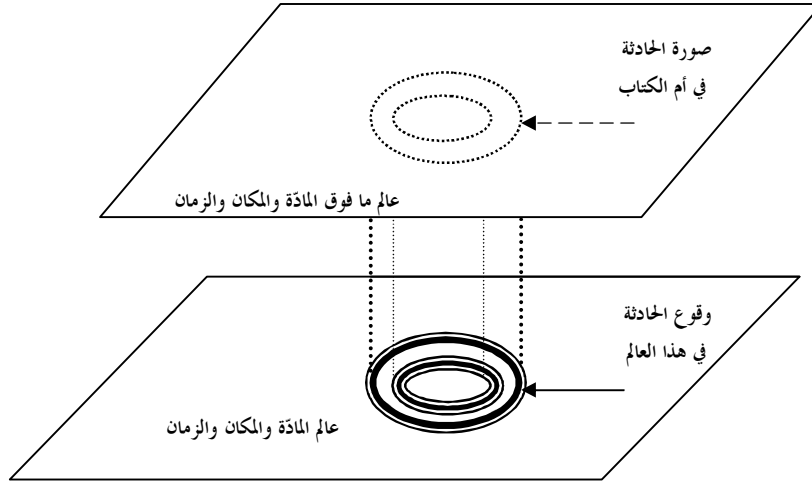
كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59]

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى

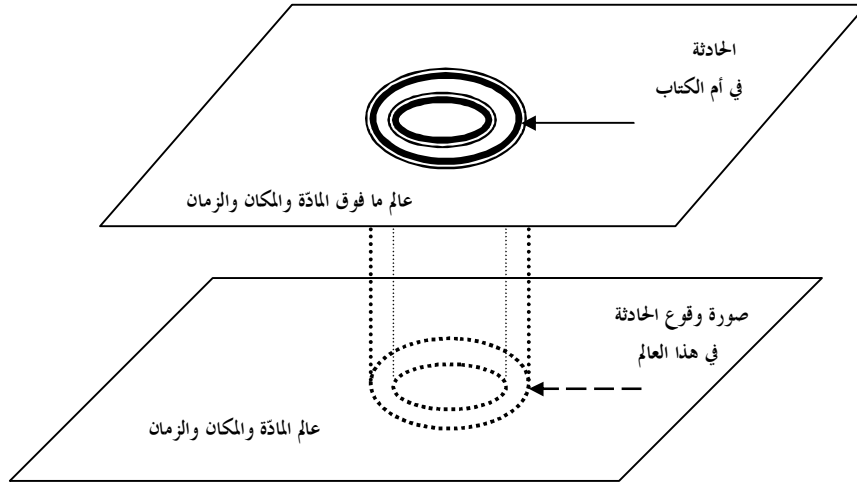
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ

مَعَهُمْ أَيَّنَ مَا كَانُوا ۗ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة

فكلّ حركة من حركات هذا الكون المادّية والحسيّة ، هي إسقاطٌ زمني مكاني لما علمه الله تعالى بعلمه المطلق وقدره في أم الكتاب ..



ومن جهة أخرى فإنّ كلّ ما علمه الله تعالى بعلمه المطلق ، علماً مقدّراً في أم الكتاب (القدر) ، سيحدث في وقته المحدّد في عالم المادّة والزمان والمكان ، وفق ما علمه الله تعالى بعلمه المطلق ..



والقصص القرآنيّة هي شواهد حسّية في عالم المشيئة (عالم الخلق) حدثت في أزمنة وأمكنة محدّدة ، تجسّداً وإسقاطاً زمانياً مكانياً لحكّمٍ وعبرٍ تحدثت في كلّ زمان ومكان .. ومن يتصوّر أنّه لا يوجد أيُّ إسقاطٍ للقصص القرآنيّة في أزمنة وأمكنة أخرى غير تلك التي حدثت بها ، إنّما يحجّم المعاني والدلالات والعبر التي تحملها كلمات الله تعالى ، ضمن إطار خياله المبني من لبنات المكان والزمان ..

فكلُّ قصّةٍ أو مشهدٍ أو حلقةٍ من قصةٍ في القرآن الكريم ، عبارة عن إسقاط زمانى مكانى لحكّمٍ وعبرٍ وبراهين وأدلةٍ مطلقةٍ مجردةٍ عن الزمان والمكان .. وقمّة التّجسيد المادّي الزمانى المكانى لهذه العبر والحكّم ، هو الإسقاط الذي حصل مع الأشخاص الذين يصفهم الله تعالى في مشاهد القصّة القرآنيّة ..

فما يربط القصص القرآنيّة التي تصوّر أحداثاً في أزمنة وأمكنة محدّدة ، بالحكّم والعبر المجرّدة عن الزمان والمكان والكامنة وراء أحداث هذه القصص ، هو ذاته ما يربط وقوع الأحداث في عالم المادّة والزمان والمكان بعلم الله تعالى الكاشف المطلق لهذه الأحداث .. فكما أنّ وقوع الأحداث في عالم الزمان والمكان لا يُلغى تجرّد علم الله تعالى الكاشف عن الزمان والمكان ، بل هو دليلٌ على هذا العلم .. كذلك هي القصص القرآنيّة لا تُلغى الحكّم والعبر والأدلة والبراهين المجرّدة عن الزمان والمكان والكامنة وراء أحداث هذه القصص ، بل هي دليلٌ على هذه الحكّم والعبر والأدلة والبراهين ..

ومن الأدلة على ذلك في القرآن الكريم ، تسمية الأشخاص في القرآن الكريم بأسماءٍ مستقلّةٍ عن آبائهم ، فلم يرد في القرآن الكريم ، محمد ابن فلان وموسى ابن فلان وفرعون ابن فلان و فجميع الأسماء الواردة في القرآن الكريم هي أسماء مجردة عن النّسل ، ما عدا اسمين اثنين هما عيسى ومريم عليهما السلام ..

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء : 171]

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحریم : 12]

فسواء عيسى ابن مريم ، أم مريم بنت عمران ، لهما خصوصية (من جانب النسل والولادة) لن تتكرر ، فلن يولد طفلاً — غير عيسى عليه السلام — من دون أب ، ولن تلد امرأة — غير مريم عليها السلام — من دون رجل .. هذه الخصوصية من هذا الجانب هي سبب نسب عيسى إلى أمه ، ومريم إلى أبيها ..

أما من باقي الجوانب (ما عدا النسل والولادة) ، فللحكم والأدلة والبراهين الكامنة وراء الأحداث التي حصلت معهما في أزمنة وأمكنة محددة ، إسقاطات في كل زمان ومكان ، ولذلك نرى أن القرآن الكريم يصفهما أحياناً بالاسم المجرد عن النسب ، شأنهما بذلك شأن باقي الأشخاص الموصوفين في القرآن الكريم ..

﴿ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِبِينَ ﴾ [آل عمران : 43]

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ ﴾ [آل عمران : 52]

ولذلك فإن أسماء الذات في القرآن الكريم والتي تُسمي ذواتاً محددة عبر إسقاطٍ محددٍ في زمان ومكان محددين ، هي في الوقت ذاته أسماء صفات لإسقاطات هذه الذوات في جميع الأزمنة والأمكنة .. فكل القصص والأحداث المرتبطة بها الواردة في القرآن الكريم ، إسقاطات تقع في كل زمان ومكان ..

.. ولما كان القرآن الكريم تبياناً لكل شيء ..

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [التلح : 89]

فلا بُدَّ أن تحمل عباراته من المعاني والأحكام والعبر والبيّنات بحيث ينفد البحر إن كان مداداً لها ..

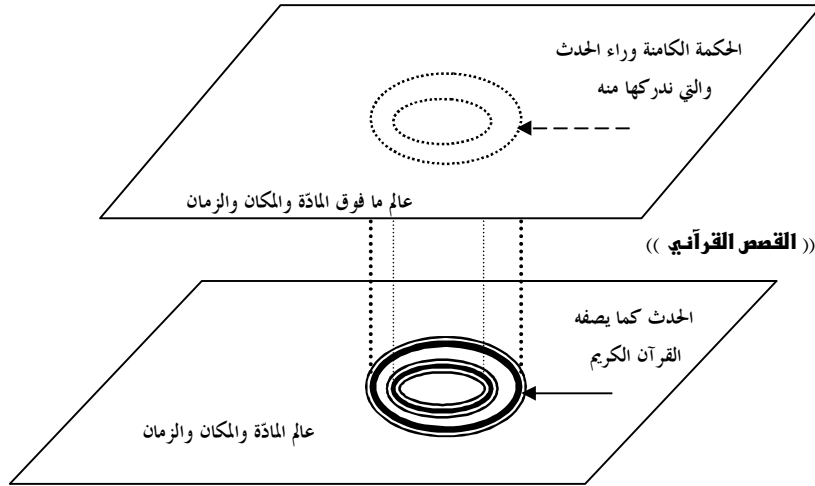
﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [الكهف : 109]

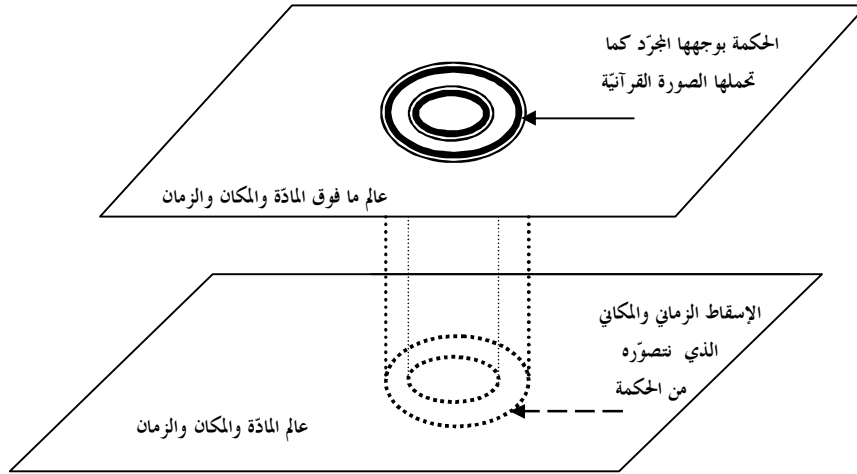
وهذا لا يكون إلا إذا حملت عباراته الظاهرة معاني عميقة باطنه لا يحيط بها إلا الله تعالى ، وفيها تبيان لكل شيء في هذا الكون ..

ومن هنا لا بُدَّ من البحث العلمي المنهجي وفق منهج البحث القرآني ﴿ ءَامَنَّا بِهِمْ كُلٌّ ﴾ ، لإظهار تبيان الأشياء التي ليس لها تبيان ظاهر في ظاهر العبارات القرآنية ..

وهكذا ... فكون القرآن الكريم قول الله تعالى ، حيث صاغ الله تعالى أحكامه وعبره ومعانيه (كلماته) عبر قالب لغوي اختاره الله تعالى ، يقتضي أن يكون لكل اسم ولكل صورة لأي مشهد قرآني عمقان .. عمق ظاهر حسي يصف الحدث في إطار الزمان والمكان ، وعمق باطن يصف الحكيم والعبر التي هي فوق الحس والمادة .. وعظمة البيان الإلهي تأتي أحياناً ببعض الحكيم والعبر وفق إسقاطاتها الزمانية والمكانية لتتصور — حسب استطاعة إدراكنا — من خلالها ، العبر والحكم والمعاني الكامنة وراء هذه الإسقاطات ..



وتأتي أحياناً بالحكم والعبر عبر صور مجردة عن إسقاطاتها المكانية الزمانية ، لتتصور إسقاطات هذه الحكيم والعبر ، كل في المكان والزمان الذي يعيشهما ..



وهكذا فالمشهد القصصي القرآني هو قَمّة التجسيد الزمني والمكاني للعبارة والحكمة التي يريد الله تعالى من البشر إدراكها .. والصّور القرآنية المجرّدة عن الزمان والمكان هي قَمّة البيان الإلهي للعبارة والحكمة المرادة في كلّ زمان ومكان .. فلكلّ قصّة قرآنية صورة ظاهرة تصف لنا أحداثاً وقعت في أزمنة وأمكنة محدّدة تُعدّ قَمّة التجسيد الزمني والمكاني للحكم والعبر المرادة من الله تعالى ، وصورة عميقة ترسم حقيقة الأحكام والعبر المطلقة المجرّدة عن الزمان والمكان وعن الأشخاص الذين تشير إليهم كلمات القصة القرآنية ..

فالحركة التاريخية الظاهرة المحكومة لإطار المكان والزمان في القصة القرآنية ، تقف وراءها حركة مجرّدة عن التاريخ والزمان المكان ، ساحتها كلّ نفسٍ وكلّ مجتمع وكلّ جيلٍ في كلّ زمان ومكان ..

ولنقف عند القصة القرآنية التالية لنرى ما نستطيع رؤيته من هذه الحقيقة ، وكيف أنّ لكلّ شخصٍ من أشخاص هذه القصة ، ولكلّ حدثٍ من أحداثها ، عمقين .. عمق زمني مكاني تاريخي ، وعمق حكمة وعبرة باطنة مجرّدة عن الزمان والمكان والتاريخ ..

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أُبْرِحُ حَتَّىٰ ۚ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٤﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۖ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَانَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْطَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۗ قَالَ أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٣﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسرًا ﴿١٤﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتِ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتِ شَيْئًا نُكْرًا ﴿١٥﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَدِّقْنِي ۗ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿١٧﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ۗ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَبَيْنَكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١٩﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَزَدْتُ أَن أُعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةً غَضَبًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكُفْرًا ﴿٨٢﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٣﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ
رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۗ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۗ
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ [الكهف : 60 - 82]

.. تفسير ظاهر هذه القصة كأحداثٍ ظاهرة وقعت مع موسى عليه السلام والعبد الصالح في زمان ومكان محددين ، يدركه كلُّ من يملك حدًّا أدنى من إدراك المعاني والدلالات الظاهرة للكلمات القرآنية ، وهو تفسيرٌ موجودٌ في جميع كتب التفسير قديمها وحديثها .. ولا ننكر أحداث هذه القصة كأحداثٍ زمانيةٍ مكانيةٍ حصلت مع أشخاص محددين في تاريخٍ محددٍ .. أبداً .. فنحن ضد اعتبار الأحداث في هذه القصة - وغيرها من القصص القرآني - مجرد رموز .. نحن نقول : إضافة لوقوع أحداث القصص القرآني في أزمنة وأمكنة محددة مع أشخاص محددين .. إضافة لذلك .. هناك وجهٌ لها من الحكم والعبرٍ مجردة عن الزمان والمكان .. الجديد في هذا البحث ، أننا سننظر إلى هذه القصة من منظار الحكمة المجردة الكامنة وراء الأحداث الظاهرة فيها ، لنرى كيف أن هذه الأحداث الظاهرة المتحركة في إطار المكان والزمان ترسم - من منظار الحكمة الباطنة - بتحركاتها أحكاماً وعبراً ثابتة مجردة فوق المكان والزمان والتاريخ ..

.. في البداية ما هما البحرين اللذان يريد موسى عليه السلام أن يبلغ مجموعتهما ؟ ..
لقد وردت كلمة البحرين في القرآن الكريم خمس مرات ..

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ ۚ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ [الكهف : 60]

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان : 53]

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ﴾ [النمل : 61]

﴿ وَمَا يَسْتَوَى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾

[فاطر : 12]

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [الرحمن : 19 – 20]

فبين البحرين يوجد حاجزٌ وبرزخٌ وحجرٌ محجورٌ ، بحيث لا يبغى أحدهما على الآخر .. والعبارة القرآنية ﴿ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ ﴾ تعني التقاءهما .. وهل يكون ذلك دون رفع البرزخ الحاجز بينهما ؟ ..

ولو كانت العبارة القرآنية ﴿ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ ﴾ لا تعني إلا اسم ذات لمكان اجتماع موسى مع العبد الصالح عليهما السلام ، لأنت في الآية الثانية من النص بالصيغة ذاتها ، فأسماء الذات لا تتغير ولا تتبدل ، ولكن الذي نراه أن هذه العبارة تأتي في الآية الثانية بصيغة أخرى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ .. فالعبارة القرآنية ﴿ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ ﴾ ليست مجرد اسم ذات لمكان التقاء موسى بالعبد الصالح ..

وإذا كانت هذه العبارة ليست اسم ذات لمكان التقائهما ، فلم يبق — إذا تم حصر العبارة بالتصوُّر المكاني — إلا أن تكون اسم صفة لذلك المكان .. أي أن هناك بحرين معروفين ومُحدَّدين ، ولهما مجمعٌ محدَّدٌ ، والمُرَاد هو بلوغ ذلك المجمع المعروف المُحدَّد بين ذلك البحرين .. لو كان هذا التصوُّر صحيحاً لناسب العبارة القرآنية الصيغة التالية : (فلما بلغا المجمع بينهما) .. فالجمع — وفق هذا التصوُّر — تمَّ بلوغه بكامله ، وهو معروف ومحدَّد ..

ولو تمَّ بلوغ قسم غير محدَّد من هذا المجمع ، لناسب العبارة القرآنية الصيغة التالية : (فلما بلغا مجعاً بينهما) ، أي تمَّ بلوغ مكان ما غير محدَّد من هذا المجمع بين البحرين ..

ولكن الذي نراه أن العبارة القرآنية هي ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ .. أي فلما بلغا نقطة الالتقاء بينهما والتي رُفِعَ فيها — فقط فيها — البرزخ والحاجز الذي يحجز بين هذين البحرين , فالحاجز لم يُرْفَعِ إلا في هذه النقطة .. فلو رُفِعَ على امتداد البحرين لكانت الصيغة (فلما بلغا المجمع بينهما) هي المناسبة , ولو كانت نقطة رفع الحاجز غير محدّدة لكانت الصيغة (فلما بلغا مجعاً بينهما) هي المناسبة .. ولكن ما بلغاه هو نقطة التقاء محدّدة بينهما , وليست ممتدّة على كامل البرزخ ..

ولو نظرنا إلى العبارة ﴿ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ لرأينا أن هدف موسى عليه السّلام هو بلوغ مجمع البحرين , ولو كان مجمع البحرين لا يشير إلا إلى مكانٍ محدّد للقاء لتعارض ذلك مع هدف موسى عليه السّلام بطلب الحكمة كما يقرّ في القصّة ذاتها , فموسى عليه السّلام هدفه ليس بلوغ مكان محدّد لمجرّد أنّه مكان .. صحيحٌ أن هناك مكاناً سيتمّ اللقاء فيه , ولكنّ القرآن الكريم لم يحدّد ذلك المكان , ولم يذكر لنا شيئاً عن ماهيّة العبد الصالح الذي سيعلم موسى عليه السّلام ..

ولو كانت العبارة القرآنية ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ لا تحمل إلا معنىً ظاهرياً يدلُّ على مكانٍ محدّدٍ , لكان هذا المكان معلوماً , وتعلّق معرفته بأنّه هو فقط مجمعٌ لبحرين معروفين ومحدّدين , وبحيث لا يُوجد بحران لهما مجمعٌ إلا هذين البحرين .. ولكنّ ذلك يتعارض مع حقيقة وجود البحار على الأرض , ومع إطلاق هذه العبارة القرآنية , فهناك الكثير من البحار تلتقي وبحيث يكون لكلّ بحرين منها مجمعٌ .. فالله تعالى عندما يقول ﴿ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ يشير إلى بحرين لا ثالث لهما , ويوجد بينهما مجمع لا ثاني له ..

وبلوغ المراد يكون إما بلوغاً مكانياً ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ [الكهف : 93] وإما بلوغاً زمانياً ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف : 15] , وإما بلوغ حقيقة موقف مجرّد عن المكان والزمان ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ .. ولا يستطيع أحدٌ أن يُثبت

(عبر صياغة النصّ القرآني) أنّ هذا البلوغ الذي أراده موسى عليه السّلام محصورٌ فقط بالبلوغ المكاني ..

وكذلك كلمة ﴿ أَبْرَحُ ﴾ التي تعني أترك وأدع , تأخذ حركتها التعبيريّة من ماهيّة المسألة التي ترتبط بها , فحينما ترتبط بمكان تعني ترك هذا المكان .. ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي لِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ﴾ [يوسف : 80] ، وحينما ترتبط بحقيقة وهدف وموقف تعني ترك هذا الهدف والموقف .. ﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [طه : 91] ..

وكذلك كلمة ﴿ حُقُبًا ﴾ تأخذ حركتها التعبيريّة من ماهيّة المسألة التي ترتبط بها , فهي تعني دورة كاملة من بداية مسألة محدّدة إلى نهايتها ..

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١﴾ لِلطَّغْيِينِ ﴿٢﴾ مَقَابًا ﴿٣﴾ لِنَبِيِّنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ :

[23-21

ففي هذه الصورة القرآنيّة تشير كلمة ﴿ أَحْقَابًا ﴾ إلى دورات وألوان مختلفة من العذاب , ولا يمكن حصرها بالقلب الزماني , لأنّ أهل جهنّم خالدون فيها , وكلمة ﴿ أَحْقَابًا ﴾ إن حُصِرَت بالقلب الزماني , فلها نهاية من الزمن مهما طالّت هذه الأحقاب , وهذا يُنافي الخلود الذي أكده القرآن الكريم ..

والصورة القرآنيّة التالية تلقي الضوء على هذه الحقيقة .. ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ

يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [الحج : 2] .. فأهل جهنم يتّجه قصدهم وغايتهم (إرادتهم) باتجاه الخروج من جهنّم كلما اقتربت نهاية لونها من العذاب , حيث يُمثّل هذا اللون من العذاب حقباً من أحقاب جهنّم التي لا تنتهي .. وبعد أن يأتي حقبٌ جديدٌ حاملاً معه لوناً جديداً من العذاب , يدخلون هذا الحقب وينتهي أملهم بالخروج من

جهنم .. وعند اقتراب نهاية هذا الحقب يتجه قصدهم وغايتهم (إرادتهم) بأتجاه الخروج ثم ينتهي أملهم بقدم حقب جديد .. وهكذا .. في هذا الإطار ندرك دلالات قوله تعالى ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: 23] ..

ولو نظرنا إلى صياغة العبارة القرآنية ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، بتقديم كلمة ﴿فِيهَا﴾ وتأخير كلمة ﴿أَحْقَابًا﴾ ، لرأينا أنها تؤكد الخلود الأبدي ، وبأن هذا الخلود الأبدي ماهيته أنه يكون وفق أحقاب ، بمعنى ألوان مختلفة من العذاب .. فالله تعالى لم يقل : (لابئين أحقاباً فيها) ، حتى يقول بعضهم بأن هناك خروجاً من النار ، إنما يقول جلّ وعلا ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، بمعنى أن هذا اللبث الأبدي ﴿لَيْثِينَ فِيهَا﴾ هو عبارة عن أحقاب ﴿أَحْقَابًا﴾ (ألوان مختلفة من العذاب) .. وقد بينت ذلك بشكل مفصل في كتاب : المعجزة الكبرى (حوار أكثر من جريء) وغيره من كتيبي ..

إذاً العبارة القرآنية ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ تشير — من منظار عالم ما فوق المادة والمكان والزمان ومن منظار عمق الحكمة والعبرة الباطنة — إلى لقاء بين عالمين ، لكلٍّ منهما سماته الخاصة به ، وهذان العالمان عادة لا يتم اللقاء بينهما ، لأنّ برزخاً يحجزهما عن بعضهما ، ولكنّ الله تعالى أراد هذا اللقاء ليتمّ التفاعل بينهما .. وقد تمّ اللقاء — كما تشير الآية الثانية — ولكنّ ليس بخرق كامل الحاجز الذي يفصل هذين العالمين عن بعضهما ، كما كان يريد موسى عليه السلام ، إنّما بخرق نقطة محدّدة من هذا الحاجز ، ليتمّ تفاعل هذين العالمين المتمايزين — من خلال هذه النقطة — مع بعضهما بعضاً وهكذا نرى أنّ للآية الكريمة الأولى في هذا النص عمقين ..

عمق مكاني زماني يخصّ موسى عليه السلام لوحده ، فموسى هو فقط — بعد الله تعالى — يعلم أين ذلك المكان الذي تشير إليه العبارة القرآنية ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ..

عمق يخص جميع البشر (موسى عليه السلام وغيره) الذين يريدون — حسب استطاعتهم — فهم حقيقة الحكمة الكامنة في هذه القصة .. ووفق هذا العمق ، فإن موسى عليه السلام يمثل في هذه القصة بحر العلم الظاهر ، والعبد الصالح يمثل بحر العلم الباطن (اللدني) ، وفتى موسى (خادمه) يمثل الأسباب المسخرة بين يدي البشر في عالم المادة والظاهر .. فموسى عليه السلام يريد أن يبلغ مجمع العلمين : علم الأحكام الظاهرة الذي يعلمه ، وعلم الأحكام الباطنة (العلم اللدني) الذي يفتقده ..

ومسألة اختيار موسى عليه السلام ليمثل بحر العلم الظاهري ، تحيط بها حكمة الله تعالى المطلقة إحاطة تامة ، فموسى عليه السلام أكثر الرسل انفعالية وتأثراً بالظاهر ، وسيرة حياته تؤكد ذلك .. فقتله للرجل الذي كان يقتل مع الرجل الذي من شيعته ..

﴿ فَاسْتَعْنَيْتُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ۗ ﴾

[القصص : 15] .. وهمه البطش برجل آخر تقاتل مع الرجل ذاته الذي من شيعته ..

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا

قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ ﴾ [القصص : 19] .. وإلقاؤه الألواح وأخذه رأس أخيه هارون

يجره إليه ﴿ وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف : 150] ..

وكل سيرة حياته عليه السلام ، تدل على انفعاليته الكبيرة للظاهر ، مثل طلبه رؤية الله تعالى وغير ذلك .. ولذلك ليس مصادفة أن يمثل موسى عليه السلام بحر العلم الظاهر ..

والله تعالى لم يبين لنا من هو العبد الصالح في هذه القصة ، فليس مهماً من هو ،

ولكن المهم هو أنه يرمز لبحر العلم الباطن ..

فهل العبد الصالح بشر ، وبالتالي فالعبارة القرآنية ﴿ فَاَنْطَلَقَا ﴾ في الحوادث الثلاث

تشير إليه وإلى موسى ، وبالتالي فطلبهما للطعام ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا

أهلها» هو من أجل أنهما (موسى والعبد الصالح) جاعان ، فتناول الطعام صفة بشرية وليست ملائكية ..

.. أم أن العبد الصالح ملك تجسد بصورة بشرية ، ورافق موسى عليه السلام في رحلته؟! .. وبالتالي فطلبهما للطعام هو من أجل امتحان أهل هذه القرية ..
.. أم أن العبد الصالح ملك بقي على ماهيته الملائكية ، وعلاقة موسى معه هي كعلاقته مع الوحي من السماء؟! .. وبالتالي فكلمة « فأنطلقا » تشير إلى موسى وفتاه ، وكذلك العبارة « أستطعما أهلها » ..

لا أحد يستطيع أن يثبت بأن العبد الصالح ليس ملكاً ، في الوقت الذي لا يستطيع أحد أن يثبت فيه أنه بشر .. فوصفه بكلمة عبد ليس دليلاً على بشريته ، فهذه الصفة تُطلق أيضاً على الملائكة .. « وجعلوا الملائكة الذين هم عبيد الرحمن إنثا » [الزخرف : 19] ، وقول العبد الصالح في نهاية القصة « وما فعلته عن أمري » يقوي احتمال كونه ملكاً ، ونحن نرى عبر سياق القصة أنه لم يتحدث أحد من البشر مع العبد الصالح سوى موسى عليه السلام ..

إن المهم في العبد الصالح — وغيره من الشخصيات وأحداث القصة — هو الرمز وليس التجسيد الحسي لشخصية ، وبالتالي فالمهم في القصة كلها هو العبرة والحكمة وليس مجرد القصة بأحداثها الحسية ..

إذاً .. الآية الكريمة الأولى في هذه القصة ترسم لنا صورة إرادة الاتجاه — من خلال الأسباب — نحو محاولة معرفة الحكمة الكامنة والعلّة الخفية لما وراء الظواهر المشاهدة المحسوسة في عالمنا المادي .. ولذلك نرى أن موسى عليه السلام يتكلم (في هذه الآية الكريمة) بصيغة المفرد ، دون أن يُشرك فتاه في بلوغ المُراد « لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا » .. ففتاه الذي يمثل الأسباب مجرد خادم لا علاقة له

بالهدف المُراد , فالأسباب المُسخَّرة بين يدي البشر ليحققوا من خلالها مُرادهم ليس لها أيُّ تأثير على حقيقة مُرادهم وماهيَّته , ولذلك نرى أن فتى موسى عليه السَّلام يختفي ذكره من القصَّة بعد وصول موسى إلى مُراده ..

وهذه الأسباب المُسخَّرة من الله تعالى بين يدي البشر لتحقيق مُرادهم , لا يستطيع الإنسان (في هذه الدنيا) الوصول إلى تحقيق مُرادِه إلاَّ بواسطتها , فلا تُوجد للإنسان مشيئة خارج إطار مشيئة الله تعالى التي تُسخِّر له أسباب تحقيق مُرادِه ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التَّكْوِير : 29]

فتحقيق الإرادة ووصولها إلى مشيئة لا بُدَّ له من الأسباب , لذلك نرى أن الآية الثانية في هذا النَّص , والتي تصوِّر حقيقة وصول موسى عليه السَّلام إلى مُرادِه لا تستثني خادمه الذي يرمز لعالم الأسباب ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ..

هذه الحقيقة التي يتيه عنها البشر , فينسبون أنَّهم يصلون إلى مُرادهم عبر الأسباب المُسخَّرة من الله تعالى بين أيديهم (وهذا ما تشير إليه الآية الأولى) , وحقيقة الأمر بأنَّه لا وصول إلى المُراد إلاَّ عبر هذه الأسباب (وهذا ما تشير إليه الآية الثانية) .. هذا التناظر بين هاتين الحقيقتين اللتين تحملهما الآيتان , نراه تناظراً منعكساً في مجموع الحروف المرسومة في هاتين الآيتين , فكلُّ آيةٍ منهما هي (49) حرفاً ..

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرُحُ حَتَّىٰ ۚ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

= 49 حرفاً مرسوماً

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ = 49

حرفاً مرسوماً

من الواضح أنَّ الضمير في كلمة ﴿ بَلَغَا ﴾ يعود إلى موسى عليه السَّلام وفتاه ,

وكذلك الضمير في كلمة ﴿ نَسِيَا ﴾ , فهما (موسى وفتاه) يُمثَّلان بحر العلم الظاهر

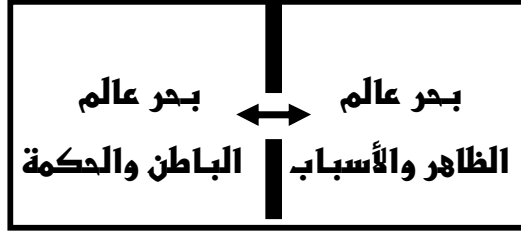
والأسباب المستخرة في عالم المادّة والمكان والزمان .. ولكن إلى من يعود الضمير في كلمة بينهما في العبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ ؟ ... من المنظار الذي ننظر من خلاله إلى عمق الحكمة والعبرة , فإنّ هذا الضمير يعود إلى بحري العلم الظاهر والباطن , وبالتالي يعود إلى موسى رمز العلم الظاهر , وإلى العبد الصّالح رمز العلم الباطن ..

وورود العبارة القرآنيّة بهذه الصيغة ﴿ بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ يشير إلى فتح نافذة جزئيّة محدّدة في البرزخ (الحاجز) بين بحري العلم الظاهر والباطن , بحيث يحصل اجتماع بين هذين البحرين في هذه النافذة المُحدّدة فقط , ولا يعني — كما قلنا — فتح كامل البرزخ , أو فتح نقطة ما غير مُحدّدة منه ..

↔ : نقطة بلوغ النافذة

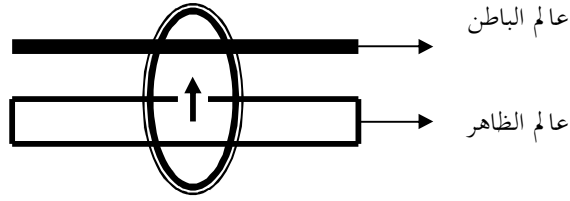
﴿ مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾

بين عالمي الظاهر والباطن



والعبارة القرآنيّة ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ تُبيّن لنا أنّ بلوغ موسى وفتاه نافذة على عالم الباطن , جعلهما يفقدان ذاكرة الهدف الذي حملاه معهما من بحر عالم الظاهر والأسباب , ويدخلان في غفلةٍ ونسيانٍ لهذا الهدف ..

فعند هذه النافذة ﴿ مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا ﴾ سيخرج العبد الصّالح من عالم الباطن والحكمة الخفيّة إلى عالم الظاهر , وعند هذه النافذة أيضاً سيمرُّ موسى وفتاه فوق فتحة بين عالم الظاهر الذي ينتميان إليه , وعالم الباطن الذي ينتمي إليه العبد الصّالح , وبالتالي ستختلط عليهما (موسى وفتاه) الأمور وسيحدث النسيان والغفلة حتى للإشارة التي من خلالها يعرفان بلوغ هدفهما , وهي عودة الحياة إلى الحوت ودخوله البحر ..



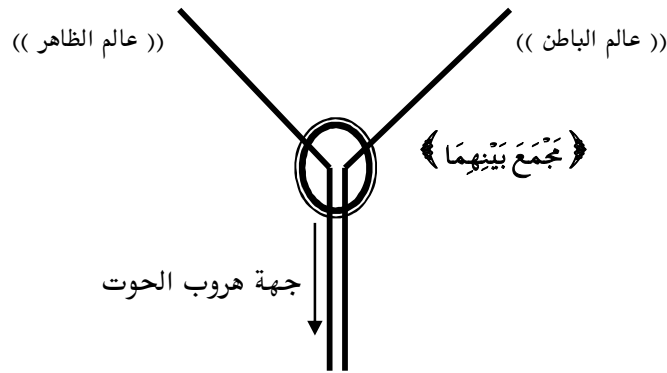
نقطة اللقاء ﴿مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا﴾

هذا الدهول الذي يصيب الإنسان في لحظة مروره — وهو في الدنيا — بموقف من مواقف ما وراء القوانين الظاهرة في هذه الدنيا ، نرى له إسقاطاً آخر حين يرى الإنسان زلزلة الساعة ، التي تُعدُّ برزخاً يفصل عالمي الدنيا والآخرة ..

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج : 1-2]

.. وما علاقة بلوغ النافذة بين عالمي الظاهر والباطن ﴿مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا﴾ ، وبين عودة الحياة إلى الحوت ؟!!! ... إنَّ الحوت الذي حمله موسى عليه السَّلام وفتاه ينتمي بجسده غير الحي إلى عالم المادَّة والمكان والزمان (عالم الظاهر) ، وإنَّ ما ينقصه لكي يصبح حياً هو سرُّ الحياة التي تجعله حياً ، وهذا السُّرُّ ينتمي لعالم الباطن والحكمة الخفيَّة .. ولذلك بمجرد بلوغ موسى وفتاه وحوتهما (كجسد) النافذة بين عالمي الظاهر والباطن ، فإنَّ جسد الحوت غير الحي سيدخل فيه — عبر هذه النافذة — سرُّ الحياة من عالم الباطن ، وبالتالي ستعود الحياة إلى هذا الحوت .. فالعبرة القرآنيَّة ﴿مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا﴾ التي تعني بلوغ مجمع عالمي الظاهر والباطن ، تعني أيضاً — بالنسبة للحوت — بلوغ مجمع مادَّة جسده الميِّت بسرِّ الحياة ..

هذا الحوت الذي عادت له الحياة نتيجة دخول سرّ الحياة من عالم الباطن في جسده الذي ينتمي لعالم الظاهر , أصبح حيّاً , ومن أجل الحفاظ على هذه الحياة , لا بُد من دخوله في عالمٍ يحوي عنصري هذين العالمين اللذين اجتمع من كلٍّ منهما جزءٌ فيه .. وهكذا كان البحر الذي اتّخذ الحوتُ فيه سبيلَهُ سرّاً ﴿ فَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ للحفاظ على حياته التي عادت له , هو رمز اجتماع بحري الظاهر مع عالم الباطن , اللذين يمثّلان باجتماعهما الحياة التي تنبض بالكائنات في هذه الحياة .. وهذه الزوجيّة ما بين عالم الظاهر وعالم الباطن , نراها في كلّ شيءٍ من موجودات هذا الكون .. فخلف كلّ حركةٍ ظاهرة في هذا الكون تكمن علّة باطنة خفيّة لا نستطيع إدراكها بجواسننا .. فالمادّة تتحرّك مكوّناًها الأولى من أجل بقائها في عالم الوجود المكاني والزمني الظاهر , عبر علّة باطنة خفيّة .. وخلف كلّ تصرفٍ حسيّ من تصرّفات الإنسان في هذا العالم المادّي الظاهري إرادة باطنة خفيّة ترتبط بنفسه التي تنتمي لعالم ما فوق هذا العالم المادّي الظاهر (تنتمي للعالم المخلوق غير المحسوس) .. وهكذا فبحر الحياة الذي دخله الحوت بعد عودة الحياة إلى جسده , يرمز إلى الحياة بشقيها الظاهر والباطن .. وبالتالي فالبحر هو اجتماع بحري الظاهر والباطن في كلّ حركة من حركات الحياة ..



.. وما هو عمق العبرة والحكمة للمشهد الذي حصل مع موسى عليه السلام وفتاه
﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ؟ .. أي ما
هي علاقة نسيان الحوت (رمز الحياة بشقيها الظاهر والباطن وإشارة وصول الهدف
المُرَاد) بهروبه في البحر (رمز الحفاظ على الحياة بشقيها الظاهر والباطن) ؟ ..
إن الحكمة المرتبطة بالحقيقة في هذه الدنيا , لا بُدُّ لها من استحضر دائم , فالغفلة عن
الحكمة ستؤدِّي إلى ضياع الحقيقة وهروبها .. هذا الترابط بين الحكمة المرتبطة بأي حقيقة
وبين الاستحضار الدائم لها , هو قانونٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ .. ونرى له إسقاطاً آخر
في قصة أُخرى عبر مشهدٍ حسِّي وقع مع إبراهيم عليه السلام وقومه , بعد أن حطَّم
أصنامهم بغية دفعهم إلى إدراك حكمة وحقيقة كانوا يغفلون عنها .. **﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾** قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَتَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ **﴿** فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ **﴾** ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ **﴾** [الأنبياء : 62 – 65]

بعد تحطيم إبراهيم عليه السلام لأصنامهم , وطلبه منهم أن يسألوا الأصنام ,
وإدراكهم بأن الأصنام لا تنطق , وصلوا إلى الحكمة التي كان إبراهيم عليه السلام يبتغيها
منهم , ورُفِعَ عنهم الغطاء الذي كان يحجزهم عن إدراك الحكمة الكامنة وراء هذا المشهد
.. لذلك بعد أن رجعوا إلى أنفسهم رجوعاً سليماً اعترفوا بظلمهم .. **﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾** ..

ولكنهم لم يقفوا عند هذه الحقيقة , وغفلوا عن الحكمة الكامنة وراء هذا المشهد ,
وتناسوا العبرة في ذلك , وعادوا بأنفسهم خلف الغطاء الذي يحجبهم عن هذه الحكمة
من جديد , فقالوا .. **﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾** .. فجعلوا من علم
إبراهيم عليه السلام بعدم نطق الأصنام , غطاءً يحجزهم عن الحكمة التي وصلوا إليها ..

وهكذا هربت الحكمة والحقيقة التي وصلوا إليها نتيجة غفلتهم ونسيانهم لها , فهل علم إبراهيم عليه السلام بحقيقة عدم نطق الأصنام يُلغي الحكمة التي وصلوا إليها ويجعل من هذه الأصنام آلهة ؟!!! ..

وكم من إسقاطٍ لهذه الحكمة والعبرة في كلِّ زمان ومكان .. فكم من إنسانٍ تغافل وتناسى حكماً وعِبْراً بغية البقاء داخل وادي تمذهبه , وبالتالي هربت منه الحقيقة .. وكم من إنسان كاد أن يصل إلى الحقيقة , ولكنَّ حاجز الغفلة والنسيان حال بينه وبين القفز إلى ساحة الحقيقة .. وكم من إنسان لوى الحقائق ليحاول إسقاطها في وادي مذهبه الذي يتوقع فيه فهربت منه الحقيقة ..

وهذه الغفلة حدثت مع يونس عليه السلام , فظنَّ أنَّ الله تعالى لن يُضَيِّقَ عليه ولن يعاقبه .. ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : 87]

وهكذا فالغفلة التي أصابت يونس عليه السلام حينما ظنَّ أنَّ الله تعالى لن يُضَيِّقَ عليه ولن يعاقبه ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ جعلته هو يهرب من الحقيقة ومن تبليغ الحكمة المكلف بتبليغها .. ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ * ﴿ فَنبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ﴿ وَأُنبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ ﴿ فَقامُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [الصافات : 139 – 148]

.. ولماذا أتى — كما نرى — حوت يونس عليه السلام مُعْرِفاً ؟ .. وما هو سر هذا الحوت الذي لو لم يكن يونس من المسبِّحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون ؟ لنقارن بين حوت موسى وحوت يونس عليهما السلام ..

حوت موسى عليه السّلام يأتي معرفاً ومضافاً إلى موسى وفتاه , وحوت يونس عليه السّلام يأتي معرفاً ..

حوت موسى عليه السّلام قفز من البرّ إلى البحر , وحوت يونس عليه السّلام أتى من البحر وألقاه على البرّ ..

حوت موسى عليه السّلام هرب من موسى , وحوت يونس عليه السّلام جاء إلى يونس ..

حوت موسى عليه السّلام عادت له الحياة بعد أن كان ميتاً , وحوت يونس عليه السّلام كان من الممكن أن يلبث يونس في بطنه — لو لم يكن من المسيحيين — إلى يوم يبعثون ..

حوت موسى كان إشارةً لوصول موسى إلى بلوغ نقطة الحكمة المرادة , بعد اتّجاهه من عالم الظاهر نحو هذه الحكمة لكي يتعلّمها .. و حوت يونس أعاد يونس من عالم الظاهر الذي كان هارباً فيه إلى بداية عالم الهداية والحكمة لكي يهدي الناس ..

حوت موسى لو لم تعد له الحياة ويهرب في البحر لكان طعاماً في بطن موسى وفتاه .. ويونس لو لم يكن من المسيحيين لكان في بطن الحوت لابتثاً إلى يوم يبعثون ..

حوت موسى انتقل من عالم الظاهر (جسده الميت) إلى بحر الحياة (عندما أصبح حيّاً وقفز في البحر) في ذروة بحث موسى في عالم الظاهر عن معلّم الحكمة .. وحوت يونس انتقل بيونس من ذروة هروبه في عالم الظاهر عن الحكمة عبر بحر الحياة إلى بداية تعليم الحكمة ..

موسى عليه السّلام فقد صبره بعد أن هرب منه الحوت ، وبعد أن التقى بمعلّم الحكمة .. ويونس عليه السّلام فقد صبره قبل أن يلتقمه الحوت ، وقبل أن يعلم الناس الهداية والحكمة ..

﴿ فَأَصْبَرَ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٥٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٩﴾ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِن الصَّالِحِينَ ﴾ [القلم : 48 – 50]

﴿ حوت موسى كان منفعلاً (مُجرَّد رمز وإشارة لوصول المُراد) , وحوت يونس كان فاعلاً حيث أوصل يونس إلى المُراد ..
مما سبق نرى أنَّ المهمة التي قام بها الحوت في القصتين هي الربط بين عالم الظاهر وعالم الحكمة الباطنة , وذلك عبر الحياة وبحرها الذي قفز فيه الحوت وبقي فيه ..

بحر الظاهر	بحر الحياة الذي قفز الحوت فيه وبقي فيه	بحر الحكمة
------------	---	------------

وهكذا نرى من منظار الحكمة والعبرة , أنَّ حوت يونس عليه السلام هو ذاته حوت موسى عليه السلام .. وحتى من منظار الظاهر الخاضع للمكان والزمان , فهل يستطيع أحدٌ — بعد أن ينظر إلى المقارنة السابقة — أن يُثبت بأنَّ حوت يونس هو حوت آخر غير حوت موسى ؟ !!! ..

وهذا الحوت الذي كان إشارة لدخول موسى عليه السلام بداية تعلُّم الحكمة في عالم الباطن والغيب , والذي كان مركباً لإرجاع يونس عليه السَّلام من عالم الظاهر إلى عالم الحكمة والهداية , نرى للحكمة والعبرة التي يرمز لها , إسقاطاً آخر يمتحن الله تعالى به باطن أصحاب السبب وحققتهم وما يخفون في أنفسهم , وذلك عبر مجيء حيثانهم في الوقت الذي لا يريدونه .. ﴿ وَسَلِّطْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ

يَعْدُونَ فِي أَلْسَبَتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ [الأعراف : 163]

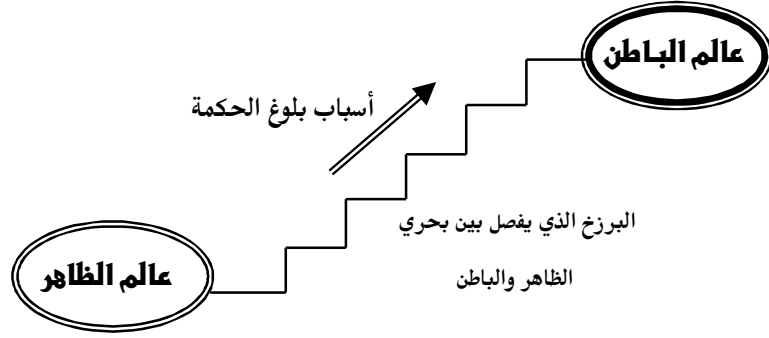
فعدم مجيء هذه الحيتان إلا في يوم السبت هو لحكمة امتحانهم .. وبالتالي فإن هذه الحيتان هي رمز امتحان الحكمة والهداية ..

فكما هي الأحكام والعبر القرآنية متكاملة متعاضدة , تعلقاً بتكامل وتعاضد الصفات الإلهية , كذلك هي القصص القرآنية متكاملة متعاضدة في تجسيد العبر والأحكام التي يريدنا الله تعالى .. فالقصص القرآنية هي إسقاط في عالم الحس والظاهر (عالم المادة والمكان والزمان) مواز لحكم وعبر تنتمي لعالم الأمر (ما فوق المادة والزمان والمكان)

إذاً عند بلوغ موسى وفتاه (العلم الظاهر والأسباب المستخرجة في عالم الخلق) لفتحة في البرزخ الذي يفصل بين بحري العلم الظاهر والعلم الباطن , حدثت الغفلة والنسيان , وهرب الهدف (الذي يشير إلى المطلوب) في بحر الحياة التي تشمل شقي الظاهر والباطن وبلوغ الحقيقة والحكمة وسبيل الله تعالى , لا بُدَّ من السعي والعمل والتعب والأخذ بأسباب هذا البلوغ , وسير المرسلين جميعاً وجهدهم وتعبهم ومعاناتهم لأكثر دليل على ذلك .. فبلوغ سبيل الله تعالى لا بُدَّ له من جهادٍ وعمل يسبقه .. ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : 69]

ولذلك حتى يبلغ موسى مُرادَه , نراه هو يذهب إلى العبد الصالح (رمز الحكمة الباطنة) ومعه فتاه (رمز الأسباب المستخرجة في عالم الظاهر لتحقيق المُراد) .. فبلوغ الحكمة يحتاج لإرادة طاهرة توجه الأسباب توجيهاً سليماً — عبر الجهد والعمل — باتجاه هذه الحكمة ..



وبعد أن تعدّى موسى وفتاه مجمع بحري العلم الظاهر والباطن ، مبحرين في عالم الظاهر ، وبعد أن نسيا إشارة بلوغهما الهدف المراد ، جاوزا بذلك هدفهما المراد ..

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ .. فنسيان الحقيقة وتجاوز الحدّ في البحث عن الحكمة ، يؤدّي إلى الانتكاس عن هذه الحكمة ، والإبحار في عالم الظاهر ..

وليس عبثاً أن تأتي العبارة القرآنيّة ﴿ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ من مشتقّات الجذر (غ ، د ، و) ، وليس من مشتقّات الجذر (ط ، ع ، م) [آتانا طعامنا] .. فهذا الحوت هو إشارة بداية الغدوّ في عالم الحقيقة والباطن ، وكان من الممكن أن يكون طعاماً لهما قبل عودة الحياة لجسده وهروبه في البحر ، أمّا في الحقيقة هو إشارة الغدو في عالم الباطن ..

وليس عبثاً أن إحساسهما بالجوع كان بعد نسيانهما وغفلتهما عن مُرادهما ، ونتيجة إبحارهما في عالم الخلق المادي (عالم الظاهر) .. فهذا الجسد المادّي الذي ينتمي لعالم الخلق الظاهري ، يفرض علينا طلب الطعام ، وأنفسنا المحرّدة عن عالم الخلق المادّي ، حين تمهبط إلى عالم الخلق المادّي بغيّة امتحانها ، وتدخّل في هذا الجسد المادّي ، وتخضع لقوانين هذا الجسد المادّيّة من جوع وشهوة و يكون هذا الجسد عبارة عن غطاء (من عالم الخلق الظاهري) يحجزها عن رؤية الحكمة الكامنة وراء الأشياء ، ولذلك حين تُفارق النفس هذا الجسد المادّي حين الموت ، وتنفصل عن هذا الجسد (البرزخ) الذي يحجزها

عن رؤية الحكمة الباطنة وراء الأشياء .. حين ذلك ترى الأمور على حقيقتها , وتنتهي غفلتها التي كانت في حياتها الدنيا .. ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ

غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : 22]

وهذه المسألة جعلها الله تعالى حجة لإثبات بشرية عيسى وأمه عليهما السلام , فكوهما يأكلان الطعام , يقتضي أنهما من البشر , ويخضعان لقوانين الجسد المادية , وبالتالي لعالم الظاهر بقوانينه المكانية الزمانية .. ﴿ مَا الْمَسِيحُ أَبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة : 75]

ومتى طلب موسى الطعام من فتاه ؟ .. لقد كان ذلك بعد بلوغ الجهد والتعب والجوع , الذروة التي لا تُوجد خلفها استطاعةٌ للتحمُّل ﴿ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ .. وفي هذا إسقاطٌ لحكمة مفادها أن السعي في عالم الظاهر عبر الأسباب من أجل بلوغ الحكمة المُرادَة , يجب أن يكون بكامل الجهد , وحتى نهاية الاستطاعة التي يملكها الإنسان .. فحقُّ السعي الحقيقي وراء العلم والحكمة , هو استعمال ذروة الاستطاعة البشرية .. هذه الحقيقة المحسّدة في هذه القصّة , نراها واضحة جليّة عبر تعاضد دلالات الصورتين القرآنيّتين التاليتين ..

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [آل عمران : 102]

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : 16]

فحقّ تقوى الله تعالى على البشر , هو نهاية استطاعتهم , وبكامل جهدهم , وذروة قدرتهم البشرية ..

وهكذا .. عندما بلغ موسى وفتاه نهاية الاستطاعة وذروة الجهد والتعب والجوع ، وصلا إلى المراد .. هذه الحكمة المجسدة في هذه القصة ، نراها جلية في صورتين القرآنتين التاليتين ..

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ
الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ
نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : 214]

﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف:

[110]

.. فعندما جاوزا الحدَّ المراد ، ووصل بهما الجهد والتعب والجوع إلى ذروته ، طلب موسى من فتاه الغداء .. فماذا قال له الفتى ..

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُوَيَّئَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ
أَنْ أَذْكُرَهُ ۗ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾

عندما كان الحديث في الآية الثانية من نصِّ القصة وصفاً لحالة الحوت كما يعلمها الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ، ونرى أنَّ العبارة مسبوقه بالفاء التي تفيد الترتيب و التعقيب السريع ، فبعد نسيانهاما للحوت مباشرةً اتَّخذ سبيله في البحر سرِّباً .. وفي الآية الرابعة من نصِّ القصة حيث يتمَّ تصوير المسألة من الزاوية التي ينظر منها الفتى ، فإنَّ عودة الحياة للحوت شيءٌ عجيب لم يره سابقاً ولذلك قال : ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ، ونرى أنَّ العبارة القرآنية غير مسبوقه بالفاء كما هو الحال في العبارة السابقة ، فهو لم يُدرك أنَّ هروب الحوت البحر يتبع مباشرة نسيانه ووصوله الهدف المراد ..

.. وهنا سؤال يطرح نفسه .. ما الحكمة من كون الإشارة لوصول المُراد تكمن في هروب طعامهما ؟ إن الإنسان — كما رأينا في النظرية الثانية (القدر) — عبارة عن اجتماع عنصرين ينتميان لعالمين مختلفين .. النفس المجردة التي تنتمي لعالم ما فوق المادّة والمكان والزمان , والجسد المادّي الذي ينتمي لعالم المادّة والمكان والزمان .. وتقع الإرادة البشريّة في كلّ موقف من حياة الإنسان تحت تأثير قوتين متعاكستين تماماً .. قوّة تسحب الإنسان نحو السموّ والعلوّ والابتعاد عن علائق الجسد (شهوة , جوع ,) , وهذه القوة تسحبه باتجاه الحكمة .. وقوّة أخرى تُعكس هذه القوّة تماماً , تتعلّق بمتطلبات الجسد من جوع وشهوة و , وهذه القوّة تسحب الإنسان باتجاه الدنيا و علائقها المادّية , وبالتالي ابتعاده عن الحكمة ..



وهكذا نرى أنّه ليس مصادفة أن يكون هروب الحوت , الذي كان من المقرّر أن يكون طعاماً لموسى وفتاه , هو ذاته الإشارة إلى بلوغ عالم الحكمة و المُراد .. وما الحكمة من كون موسى عليه السلام لم يرَ هروب الحوت في البحر , بينما رآه فتاه , في الوقت الذي يعلم فيه موسى أنّ هذا الهروب هو الإشارة المطلوبة , بينما لا يعلم الفتى ذلك ؟ !!! ..

نحن في هذا العالم المادّي المخلوق (عالم الامتحان) نملك إرادة نتّجه من خلالها نحو الهدف المُراد .. و الأسباب هي الوسيلة المسّخرة بين أيدينا لتحقيق هذا المُراد ووصوله إلى عالم الحسّ والتّشّيؤ , فالأسباب هي الفاصل بيننا وبين حصول الهدف المُراد .. هذه الحقيقة رأيناها عبر برهانٍ قرآنيّ عندما عرفنا كلاً من الإرادة والمشية في النظرية الثانية القدر ..

الشيء الذي يريده الإنسان	الأسباب	الإنسان وإرادته لحصول الشيء
-----------------------------	---------	--------------------------------

هذه الحقيقة نراها مُجسَّدة عبر رموز هذه القصة , فمن الطبيعي أن يكون الفتى (رمز الأسباب المُسخَّرة لخدمة مُراد موسى) أقرب إلى الهدف الذي يريده موسى .. أمّا من زاوية العلم بالهدف المُراد وبحقيقته , فمن الطبيعي أن يكون صاحب الإرادة لوصول الهدف هو العالم بحقيقة هذا الهدف , بينما الأسباب على الرغم من أنّها هي التي تُوصله للهدف , وهي أقرب منه إلى هذا الهدف , لكنها مسخَّرة دون إرادة ودون علم بهذا الهدف .. ومن هنا كان موسى (رمز العلم الظاهر الذي يريد وصول الهدف) يعلم حقيقة هروب الحوت في البحر , وأن لا يعلم الفتى (رمز الأسباب) هذه الحقيقة ... ومن الطبيعي أن يرى الفتى هروب الحوت في البحر , ولا يراه موسى , لأنّ الفتى أقرب إلى الحوت من موسى ..

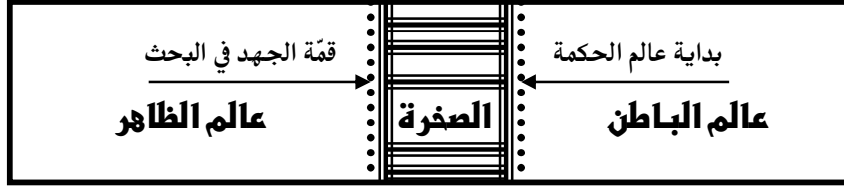
ولمّا كان العبد الصّالح هو رمز عالم الحكمة الغائبة , وبالتالي ينتمي لعالمٍ مجردٍ عن الأسباب , ولمّا كانت الأفعال في الحوادث الثلاث يقوم بها العبد الصّالح , نرى أنّه بعد اللقاء بالعبد الصّالح لم يُذكر الفتى (رمز الأسباب) .. فالأسباب التي تفصلنا عن مُرادنا في عالم الظاهر , لا حاجة لها في عالم الباطن و الحكمة الغائبة الذي سيتفاعل به موسى مع العبد الصّالح ..

.. وما علاقة اللجوء إلى الصخرة ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ بنسيان الحوت

﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ﴾ وبالتالي بهروبه في البحر وبالوصول إلى المطلوب ؟ ..

إنّ الصخرة هي رمز ذروة القساوة , وبالتالي ذروة الجهد والتعب , ولذلك نراها معرّفة وليست نكرة , فهناك ذروة واحدة للجهد والبحث , هي نهاية الاستطاعة والطاقة

البشريّة أثناء البحث عن الحقيقة والحكمة في عالمنا (عالم الظاهر) .. وبالتالي هي رمز للسور والغطاء الذي يفصل بين وجهي عالم الظاهر والباطن عند نقطة اللقاء , فعند وجه الصخرة من جهة عالم الظاهر , وصل موسى وفتاه إلى ذروة الجهد والتعب في بحثهما .. وعند الوجه الآخر للصخرة من جهة عالم الباطن والحكمة الغائبة , خرج العبد الصالح من عالم الباطن ..



.. وهذا الغطاء والباب الذي يفصل بين عالين مختلفين تماماً (عالم الظاهر وعالم الباطن) , والذي ترمز له الصخرة في هذه القصة , نرى له إسقاطاً آخر في عالم الآخرة حيث يُضرب بين الكفار والمؤمنين بسورٍ له باب , وجهه الذي من جهة الكفار فيه العذاب , ووجهه الذي من جهة المؤمنين فيه الرحمة ..

﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾

[الحديد : 13]

والعبارة القرآنيّة ﴿ فَنَسِيَ حُوتَهُمَا ﴾ والعبارة القرآنيّة ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ تشيران إلى أن حقيقة النسيان تعود إلى الإنسان , وليست مسألة مُراد من الله تعالى , وسيحاسب الإنسان (في المسائل الإيمانية) على هذا النسيان ..

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص : 26]

فلو كان النسيان مُراداً من الله تعالى لما كان للشيطان وغيره أيُّ سلطان فيه , ففي الصورة القرآنيّة ﴿ وَمَا أُنسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ نرى أن الشيطان هو الفاعل للفعل أنسى ..

ونرى أن التسيان يأتي مرتبطاً بالفتى , بينما دور الشيطان هو في جعل الفتى ينسى ذكر الحوت ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ , فما هو الفارق بين نسيان الحوت ونسيان ذكر الحوت ؟ ..

هذا المشهد القرآني يُجسّد حقيقة ثابتة تحدث في كلِّ زمان ومكان , هي أن الخطوة الأولى نحو النسيان تعود للإنسان ذاته , ولنفسه التي تغفل عن الحقيقة المرادة , ويأتي دور الشيطان في التأثير غير المادي على هذه النفس بغية الاستمرار في الغفلة .. فتأثير الشيطان هو فقط على إرادة الإنسان وعلى نفسه , دون أن يصل ذلك مستوى الفعل والمشية ..

هذه الحقيقة بيّنها القرآن الكريم بشكلٍ جليٍّ عبر امتلاك الشيطان للإرادة دون المشية .. ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : 60] ... ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة : 91] , وعبر عدم ارتباط الشيطان بأي مشية , فلا يوجد نصٌّ قرآنيٌّ واحدٌ يشير إلى وجود مشية للشيطان ..

ولو كان للشيطان مشية , لكان يستطيع التأثير علينا عبر أفعال حسيّة متجسّدة في عالم الحسّ والوجود , ولكان يستطيع دفع الأسباب بيده .. ولكن الشيطان لا تأثير له إلا على نفس الإنسان وإرادته , بينما الفعل والعمل ودفع الأسباب لا علاقة للشيطان به .. هذه الحقيقة .. تجسّدها القصة التي بين أيدينا عبر ارتباط التسيان بالفتى ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ﴾ فلا سلطان للشيطان على الأسباب ..

والصورة القرآنية ﴿ وَمَا أَنَسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ تُبيّن أن المسألة التي يريد الشيطان هي ليست نسيان الحوت بشكلٍ مُجرّدٍ عن الحقيقة الكامنة وراء هذا الحوت , فالذي يريد الشيطان هو عدم وصول موسى عليه السلام إلى الحقيقة والحكمة المرادة .. فالمسألة لا تكمن في مجرد النسيان , فموسى عليه السلام ذاته نسي الحوت ﴿ نَسِيًا

حَوْتُهُمَا ﴿ , لكنَّ المسألة تكمن في تأثير الشيطان على ذاكرة الفتى بحيث يستمرُّ هذا النسيان , وبالتالي إبعاد موسى عن الحكمة المُرادَة ..

وهكذا نرى عبر هذا المشهد حقيقة مفادها أنَّ الخطيئة تبدأ في نفس الإنسان وعبر إرادته , بينما يؤثر الشيطان على الإنسان تأثيراً معنويّاً نفسياً , بغية إبقاء الإنسان على خطئه , وإجباره أكثر في عالم الخطيئة . وذلك عبر تزيين هذه الخطيئة للإنسان ..

﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام :

[43

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [التَّمَل :

[24

والصورة القرآنية ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ تُجسِّد لنا حقيقة مفادها أنَّ المنهج السليم للعلم الظاهر والأسباب المسخَّرة لأجله , هو أن يسير باتجاه هدفٍ مُراد , فكلَّ عمل بالأسباب دون هدفٍ مُراد هو عبثٌ وهووٌ ولعب ..

ونستشق من حذف الياء من كلمة ﴿ نَبْغُ ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا

نَبْغُ ﴾ رائحة الأمر والجزم .. فحذف الياء ليس عبثاً , وهو لحكمة مُرادَة من الله تعالى .. وفي هذا إشارة إلى أن الهدف الذي سار إليه موسى عليه السلام وكان يبتغيه , هو بأمرٍ من الله تعالى ..

والصورة القرآنية ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ تجسِّد حكمة مُجرِّدة مفادها أنَّه

لا يُمكن الوصول عبر الأسباب إلى الهدف المُراد إلا إذا سار الإنسان بهذه الأسباب وفق اتِّجاه صحيح ولحدِّ مُحدَّد , وبتتبع أثر الهدف وفق هذا الاتِّجاه , وللحد المطلوب .. وحين تجاوز هذا الحدَّ وتغيير الاتجاه الصحيح لا بُدَّ — لبلوغ الهدف المُراد — من الرجوع وتصحيح الاتجاه للعودة إلى الهدف ..

وهكذا وصل موسى عليه السلام هو وفتاه إلى هدفه المُراد , وهو الالتقاء مع بحر العلم الباطن (العبد الصالح) ..

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾

ومجيء العبد الصالح (معلّم الحكمة) بصيغة النكرة ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ يشير إلى وجود أكثر من رمز للحكمة , فللحكمة عدّة أوجه وليس وجهٌ واحد .. فما سيتفاعل معه ويصل إليه رمز العلم الظاهر في هذه الدنيا , هو وجهٌ واحدٌ فقط من أوجه الحكمة الكثيرة للمسألة ذاتها , هذه الأوجه لا يحيط بها إلاّ الله تعالى .. وبالتالي فلكلّ مسألة أوجه من الحكمة لا يُحيط بها إلاّ الله تعالى ..

والصورة القرآنية ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ تُبين لنا أنّ إتيان رحمة الله تعالى , يسبق إتيان علمه اللدني .. فالعلم اللدني يمر عبر طريق الرحمة .. وإتيان الله تعالى الرحمة للعباد هو نتيجة طاعتهم والتزامهم بِمُراد الله تعالى ..

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران : 132]

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام : 155]

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [التور : 56]

ومسألة إتيان الرحمة للعباد هي إسقاط نسبي — حسب شفافية أنفس العباد — لمسألة النبوة بما تعنيه من خلاص لله تعالى ونقاء ..

﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴾ [القصص :

[86

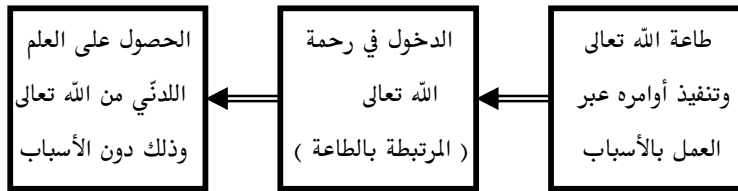
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ

رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف : 31 – 32]

ولمَّا كان إتيان رحمة الله تعالى نتيجةً لما تقدّمه من عملٍ عبر الأسباب , ويستلزم أن نبدأ نحن بالعمل الصالح والطاعة الصادقة لله تعالى , وأن الرحمة من عند الله تعالى تقع بيننا وبين الله تعالى , لذلك نرى أنّه تمّ تقديم الرحمة على كلمتي ﴿ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ العائدتين لله تعالى ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ ... ولم يقل الله تعالى (آتيناها من عندنا رحمة) ..

ولمَّا كان العلم اللدنيّ يُؤخذ من الله تعالى دون واسطة , نرى أنّه تمّ تقديم اللدن على هذا العلم ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ , فلم يقل الله تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ عِلْمًا مِنْ لَدُنَّا) ..

فطاعة الله تعالى والالتزام بما يأمر به , سبب إدخال المطيع في رحمة الله تعالى , وتسبق إتيان هذه الرحمة (المرتبطة بالطاعة) .. ونرى أنّ الحصول على العلم اللدنيّ هو مرحلة ما بعد الدخول في رحمة الله تعالى , وأنّ العلم اللدنيّ يرتبط بالله تعالى مباشرة , دون واسطة ..



.. وهكذا .. بعد الوصول إلى مرحلة التفاعل مع العلم اللدنيّ لم يبقَ للأسباب أيُّ عمل , لأن ساحة العلم اللدنيّ هي ما وراء الأسباب وما وراء عالم الظاهر الذي تعمل به هذه الأسباب , ولذلك نرى أنّه عند هذا الحدّ الذي بدأ فيه موسى بالتفاعل مع العبد الصالح , قد اختفى الفتى (رمز الأسباب) تماماً من القصة , فلم يعد يُذكر لا في الحوار ولا في الأحداث ..

وهنا يُظهر موسى عليه السّلام حقيقة هدفه المُراد ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ .. ونرى في ذكر اسم موسى تأكيداً على استثناء الفتى

(رمز الأسباب) من الإبحار في عالم الحكمة الغائبة , ونرى هذا التأكيد مرّة أخرى عبر قول موسى عليه السلام ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي ﴾ وذلك باستثناء رمز الأسباب (الفتى) .. وفي هذا تجسيداً لحقيقة مفادها أنّه لا يمكن تعلّم الرُّشد والحكمة عن طريق عالم الظاهر لوحده , وأنّه لا بُدَّ لتعلّم الرُّشد والحكمة من أتباع منهج الله تعالى الذي يحمل الحكمة والهداية والرُّشد ..

.. ولماذا لم يقل موسى (هل أتبعك كي تعلمني) بدلاً من قوله ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي ﴾ .. إنّ في الكلمتين ﴿ عَلَىٰ أَنْ ﴾ روح المقايضة والمقابلة بين موسى والعبد الصالح .. موسى يُقدّم للعبد الصالح الإِتِّباع , مقابل أن يُقدّم العبد الصالح لموسى التّعليم .. وهذه المقايضة التي تدلُّ عليها الكلمتان ﴿ عَلَىٰ أَنْ ﴾ نرى لها إسقاطاً آخر حصل مع موسى عليه السّلام في قصّة أخرى ..

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَىٰ أَبْنَتَيَّ هَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابًا ﴾

[القصص : 27]

وموسى عليه السّلام بعد لقائه مع العبد الصالح , وبعد انتهاء مرحلة رحلته في عالم الظاهر مع الأسباب المسخّرة بين يديه (فتاه) , سيتفاعل مع عالم له قوانينه الخاصّة به .. ففي هذا العالم ، لا تُوجد أغطية للغيب كما هو الحال في عالم الظاهر الذي ينتمي له موسى , ولذلك قال العبد الصالح لموسى ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ففي عالم التّكليف (عالم الظاهر) تُحيط بنا أغطية الغيب من كلّ جهة , وبالتالي فكلّ ما يناقض تصوّرنا الظاهري للأمور نحسبه شراً ولا نصبر عليه ..

فحين يتوافق الظاهر مع الباطن بالنسبة لمسألة ما , فإننا نصبر على هذه المسألة , ولكن حين تختلف حكمة الحقيقة الباطنة للمسألة مع مشاهدتنا الظاهرة لهذه المسألة , يفقد الإنسان صبره .. فموسى عليه السّلام له طاقة من الصبر على الأمور الظاهرة في

عامله , والتي لا يختلف فيها الظاهر مع الحكمة الغائبة , ولكن ليس له طاقة من الصبر على المسائل التي يختلف فيها الظاهر مع الحكمة الغائبة .. ولذلك فالعبد الصالح الذي يُؤكّد عبر كلمة : ﴿ إِنَّكَ ﴾ عدم صبر موسى , نراه يُقدم كلمة : ﴿ مَعِيَ ﴾ على كلمة : ﴿ صَبْرًا ﴾ .. فلم يقل (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ صَبْرًا مَعِيَ) , ولكنّه يقول : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ , فهو لا ينفي عن موسى إلا الصبر على المسائل التي يختلف فيها الظاهر مع الحكمة الغائبة ..

ويبيّن العبد الصالح هذه الحقيقة لموسى فيقول : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ وفي هذا تجسيد لحقيقة عدم إحاطتنا بباطن أيّ مسألة وبالحكمة الغائبة خلف ظاهرها , فلا نتحرّر من أسرار أغطية الغيب التي تحول بيننا وبين رؤية الحكمة الباطنة لأيّ مسألة في عالم الظاهر (عالم التكلّف) إلا بالخروج من هذا العالم بعد الموت .. ويردّ موسى عليه السّلام من منظاره الظاهري للأمر فيقول : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ .. فوق حساباتنا السّطحية , ومن منظار علمنا الظاهري , قد نحسب أنّنا قادرون على الصبر بالنسبة لكثير من المسائل , لأننا لا نستطيع القفز فوق أغطية الغيب , وبالتالي لا نستطيع رؤية حقيقة المسائل وحقيقة أنفسنا وتفاعلها مع هذه المسائل ..

ويقول العبد الصالح لموسى عليه السّلام مبيناً حقيقة الإتياع الذي هو الطرف الأوّل في المقايضة التي عرضها موسى ﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ .. ففي العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي ﴾ إشارة إلى تخيير موسى عليه السّلام في دخول عالم الحكمة الغائبة , فورود كلمة (إن) دون كلمة (إذا) ﴿ فَإِنْ

﴿ أَتَّبَعْتَنِي ﴾ يؤكد هذا التخيير ... وفي حال اختيار دخول هذا العالم , لا بُدَّ من الالتزام بعد الاعتراض وعدم السؤال عن أيّ شيءٍ حتى يأتي ذكره ..

وفي كون دار التكليف (عالم الظاهر) محكمة لأغطية الغيب وللأسباب وقوانينها , وبالتالي غياب الحكمة الباطنة للأُمور عن أعيننا , يُوجِّل العقاب إلى دار الآخرة حيث تُرفع هذه الأغطية .. ولذلك في عالم الحكمة (ما وراء عالم الظاهر والتكليف) حيث الحكمة الظاهرة جليّة , ولا زمان ولا مكان يحجبانها , لا يُوجِّل العقاب الناتج عن أيّ خطيئة , كما هو الحال في عالمنا الظاهري (عالم التّكليف) ..
وقد جسّدت هذه السُّنة الإلهية عبر عدّة إسقاطات حسّية في عدّة قصص , ففي قصّة لوط عليه السّلام نرى إسقاطاً لهذه السُّنة ..

﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُؤا

حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر : 65]

فحين تبلغ الخطيئة ذروتها , وحين يأتي أمر الله تعالى بالجزاء , تكون ساحة التّكليف قد انتهت , وتكون حكمة الله تعالى بما تحمله من الغيب الباطن , قد نزلت مكان ساحة التّكليف , وبذلك نكون قد دخلنا من عالم الظاهر (عالم التّكليف) إلى عالم الجزاء والباطن , وفي ذلك العالم يتمُّ الحساب — بالنسبة لمن يشهد هذا الجزاء — على الخطيئة فورياً , لأنّ ساحة التّكليف التي يُفصل فيها العقاب عن الخطيئة تكون قد انتهت .. هذه الحقيقة نراها واضحة جليّة عبر التناظر التّام بين ركني هذه الآية الكريمة , فكلُّ ركنٍ هو (30) حرفاً ..

﴿ فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَرَهُمْ ﴾ = 30 حرفاً

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُؤا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ = 30 حرفاً

فالخروج من الجزاء بسلام (وهذا ما يصوره الركن الأول) يقتضي عدم الالتفات إلى ساحة الخطيئة , والمضي بأمر الله تعالى (وهذا ما يصوره الركن الثاني) .. ومن جهة أخرى فإن عدم الالتفات للخطيئة والمضي بأمر الله تعالى , يؤدي للخروج من الجزاء على ذلك بسلام ..

والركن الثاني نراه عبارة عن ركنين متناظرين , كل ركن هو (15) حرفاً ..

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ = 15 حرفاً

﴿ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ = 15 حرفاً

فعدم الالتفات إلى الخطيئة , هو التزام بأمر الله تعالى .. ومن جهة أخرى فإن الالتزام بأمر الله تعالى يؤدي إلى عدم الالتفات إلى الخطيئة ..

ولذلك فامرأة لوط عليه السلام حينما خالفت هذا الأمر وارتكبت خطيئة الالتفات إلى ساحة جزاء الخطيئة , في الوقت الذي يتزل فيه أمر الله تعالى بالجزاء , نراها قد أصابتها خطيئتها مباشرة , ولم يُوجَل الجزاء كما هو الحال في عالم التكليف ..

﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ۗ فَأَسْرَبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِك ۗ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۗ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۗ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : 81]

وهذه الحقيقة نرى لها إسقاطاً آخر عبر قصة عيسى عليه السلام مع الخواريين , حين طلبوا أن يُنزل الله تعالى عليهم مائدة (برهاناً ومعجزة) من السماء .. فماذا كانت إجابة الله تعالى ..

﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ ۗ

أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : 115]

فبعد نزول البرهان ورؤية الحكمة الإلهية , يكونون قد ابتعدوا عن عالم الظاهر , واقتربوا من عالم الحكمة والباطن , وحين ذلك تكون الخطيئة أكبر بكثير فيما لو ارتكبت دون رؤية هذا البرهان ..

وهذه السنّة الإلهية نرى لها تجسيدا آخر عبر معصية إبليس (الذي ينتمي لعالم الجن ويتّصف - قبل معصيته - صفةً بالملائكيّة) , فالملائكة هم خارج عالم الظاهر , والمعصية في تلك الساحة كبيرة وجزاؤها فوريٌ .. ولذلك نرى أن إبليس (الذي كان حين ذلك يتّصف بصفة الملائكة نتيجة عدم معصيته سابقاً) أخرجته معصيته في تلك الساحة من رحمة الله تعالى إلى الأبد ..

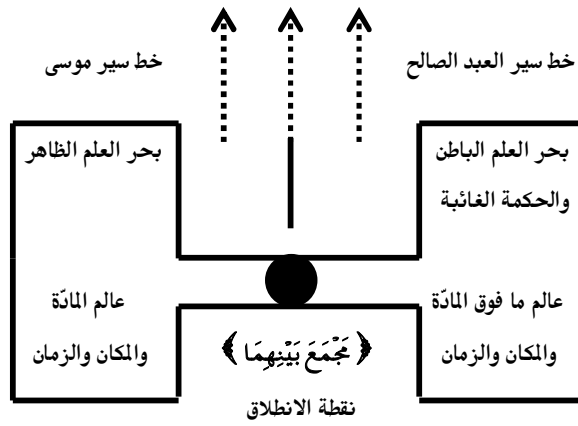
وما دامت رؤية البرهان الإلهي والابتعاد عن عالم الظاهر تؤدي إلى كبر الخطيئة , فإنّ الإيمان والابتعاد عن الخطيئة حين رؤية برهان الله تعالى بنواميس العالم الآخر , وحين اليقين بدخول عالم الباطن والحكمة الغائبة (الخروج من عالم الظاهر) , لا يجدي ولا يُنقذ صاحبه .. هذه السنّة الإلهية نرى لها إسقاطاً حسياً في قصة فرعون حينما أدركه الغرق وأيقن خروجه من عالم التكليف الظاهري , ودخوله العالم الآخر ..

﴿ وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ءَأَلْقِنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : 90 - 91]

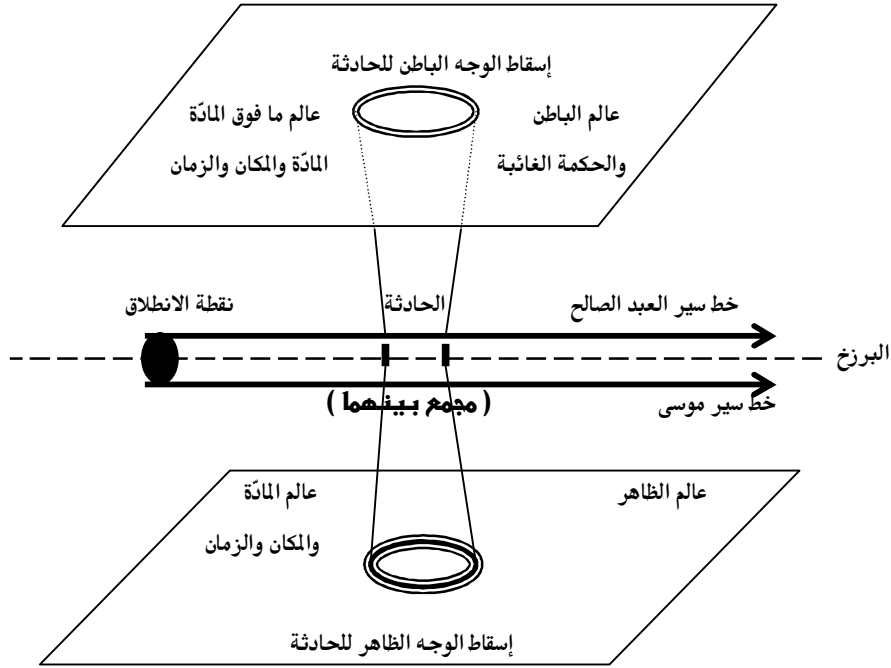
فالإيمان بعد مجيء برهان الله تعالى وحكمته الغائبة لا ينفع صاحبه ..

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَأَمِنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام : 158]

وهكذا نرى أن قول العبد الصالح لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ هو تعبيرٌ من العبد الصالح عن سنّة عالم الحكمة الغائبة التي يرمز لها , وليس مجرد شرطٍ ما يخصّ موسى أثناء صحبته للعبد الصالح ..
والعبارة القرآنيّة ﴿ فَأَنْطَلِقَا ﴾ تشير إلى نقطة انطلاق من تجمعهما معاً ﴿ مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا ﴾ , إي من الفتحة التي فُتِحَتْ في البرزخ الذي يفصل بين بحر العلم الظاهر وبين بحر العلم الباطن والحكمة الغائبة , وهي — كما رأينا — ذاتها النقطة التي عادت فيها الحياة للحوت عند الصخرة , والتي تمّ فيها التّسيان ..



والآن سنبدأ الرحلة في بحر الحياة (بشقيها الظاهر والباطن) , ومن نقطة على البرزخ الفاصل بين عالم الظاهر الذي ينظر منه موسى , وبين عالم الباطن والحكمة الغائبة الذي ينظر منه العبد الصالح , لنرى أحداثاً يقوم بعها العبد الصالح في بحر الحياة (بشقيها) , ولنرى كيف أنّ لكلّ حدثٍ من هذه الأحداث إسقاطين مختلفين , إسقاط يرتسم في عالم الظاهر يراه موسى عليه السّلام , وإسقاطٌ يرتسم في عالم الباطن والحكمة الغائبة يراه العبد الصالح ..



.. إننا نرى في الحادثة الأولى (حرق السفينة) أن كلمة «السَّفِينَةُ» تأتي بصيغة المعرفة «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا» , وذلك على نقيض من الحادثين الثانية والثالثة (قتل الغلام ، إقامة الجدار) حيث يأتي الغلام والجدار بصيغة النكرة .. إذاً .. ما ترمز إليه «السَّفِينَةُ» معروفٌ ومعلومٌ في عالم الظاهر ، الذي ينتمي إليه موسى عليه السلام ..

إن كلمة «السَّفِينَةُ» هي المشتقّ الوحيد للجذر (س ، ف ، ن) في القرآن الكريم ، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في هذه القصة — التي بين أيدينا — ومرة واحدة في قصة نوح عليه السلام ..

«فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ» [العنكبوت : 15]

والسفينة هي واسطة الانتقال عبر المكان , ولا تعني الانتقال عبر الزمان إلا من خلال انصياعه لحركة المكان .. ولذلك نرى في قصة نوح عليه السلام أن الله تعالى يعطف بنجاة أصحاب السفينة على نجاة نوح عليه السلام ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾ .. فنجاة أصحاب السفينة لها خصوصية عن نجاة نوح .. فما هي هذه الخصوصية ؟ .. الصورة القرآنية التالية تجيب على هذا السؤال ﴿ وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : 77]

فنجاة أصحاب السفينة تعني انتقاهم — عبر المكان — في السفينة من مكان الغرق إلى مكان الأمان , ولا تعني استمرارية انتقاهم في الزمان — عبر الذريرة — كما هو الحال بالنسبة لنوح عليه السلام ... وهكذا فالسفينة هي رمز الانتقال بالمكان .. وهذا الغيب (غيب المكان) الذي تحرقه السفينة , بالانتقال من مكان لآخر , هو أبسط أنواع الغيب وله وجود محسوس في عالم الظاهر , فما هو غيب لإنسان (بالنسبة لغيب المكان) مشاهدٌ لأناس آخرين ... ويمكننا نحن خرق غيب المكان عبر التقدّم العلمي من خلال الأسباب المادية الموجودة في عالم الظاهر , وما التقلّ المباشر عبر شاشات التلفاز للأحداث إلا خرقٌ لغيب المكان , وجعل هذا المكان الغائب عن الناس مُشاهدًا لهم ..

والعمل الأوّل الذي عمله العبد الصالح هو ﴿ حَرَقَهَا ﴾ وذلك لوضع عيب في السفينة وإعاقة حركتها , حتى لا تصل إلى المكان الذي تُفقد فيه ..

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

.. فما بين المكان الذي أعاب فيه العبد الصالح السفينة ، والمكان الذي يُوجد فيه الملك , مسافة من المكان يحتاج خرقها إلى مسافة من الزمان , كما أن العيب ليس في السفينة ذاتها , وإنما في وجود الملك الذي يأخذ كل سفينة غصباً .. وهكذا نرى أن

ساحة فعل العبد الصالح تتعد عن ساحة الأحداث غير المُرادَة (أخذ السفينة غضباً) ,
ولذلك نرى أن حرق السفينة يأتي غير مقترنٍ بفاء التعقيب المباشر ﴿ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي
السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ ، كما هو الحال في الحادثتين الثانية والثالثة (قتل الغلام — إقامة
الجدار) ..

إنَّ حيثيات الفعل الذي قام به العبد الصالح ، هي من حيثيات غطاء الغيب الذي
رُفِعَ عنه من أجل القيام بهذا الفعل .. ففي عالم الظاهر لا بُدَّ من أسباب تفصل بين المُراد
وتحقيقه ، وللوصول إلى المُراد لا بُدَّ من العمل بالأسباب لتحقيق هذا المُراد ، ولذلك
نرى أن ساحة فعل العبد الصالح هي ذاتها الأسباب المسخَّرة لتحقيق المُراد ، لذلك نراه
يخرق السفينة التي تُحققُ مراد اختراق المكان ..

إنَّ رفع غطاء غيب المكان عن مكانٍ ما ، يعني رؤية هذا المكان في الزمن ذاته الذي
ننظر فيه إلى ذلك المكان .. فرفع غطاء غيب المكان لا يقتضي رفع غطاء غيب الزمان ،
ولا يقتضي الخروج من عالم المادَّة والمكان والزمان (عالم الظاهر) .. وهكذا نرى أن
الحادثة الأولى ترتبط بعالم الظاهر ، ولذلك فإنَّ إرادة عمل العبد الصالح في هذه الحادثة ،
كانت من منظار عالم الظاهر ، ولذلك نرى أنَّ إرادة العمل في الحادثة الأولى تُنسب إلى
العبد الصالح ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ ، حيث نملك في عالم الظاهر هذا إرادةً حرَّةً مستقلَّةً
.. ولو وجدت لموسى كاميرا تنقل له — عبر بثٍّ مباشر — صورة ذلك المكان الذي
يأخذ فيه الملك كلَّ سفينةٍ غضباً ، لفعل موسى ما فعله العبد الصالح عبر إرادته الحرَّة
المستقلَّة ..

ونرى في إعلام العبد الصالح لموسى بحقيقة المسألة ، تقديماً للظاهر على الغائب ،
فكون السفينة لمساكين يعملون في البحر ، مسألة بإمكان موسى أن يعلمها بالسؤال عن
أصحاب السفينة ، وإحداث العبد الصالح عيب في السفينة ، مسألة ظاهرة رآها موسى
عليه السلام .. أما المسألة الغائبة عن موسى ، فهي وجود الملك الذي يأخذ كلَّ سفينة

عصباً , ولذلك نرى أن النَّصَّ القرآنيَّ يُقدِّم الجانب الظاهر في هذه الحادثة على الجانب الغائب الذي لم يره موسى عليه السلام ..

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ .. وفي هذا تجسيداً لحقيقة التعلم السليم الذي يبدأ من

المقدّمات الظاهرة البسيطة , نحو النتائج غير المعلومة والصعبة بالنسبة للمتعلّم ..

لقد رأينا أن ساحة الحادثة الأولى (السفينة) تأتي مُعرّفة , أي معلومة بالنسبة لموسى عليه السلام , وأن ساحة الفعل هي أسباب الانتقال في المكان , وأنه لم يتمّ الخروج من عالم الظاهر , ولم يتمّ التَّحرُّر من قانون الزمان , وبالتالي ما زالت الحادثة الأولى منصاعة لعالم المادة والمكان والزمان .. إذا الرحلة الأولى بأحداثها , ترمز لعالم الدنيا الذي ننصاع فيه للأسباب وللزمان ..

والسفينة ترمز أيضاً — ممّا ترمز إليه — إلى النفس البشريّة التي تُبحر في عالم الدنيا باتجاه نهاية حتميّة هي الموت , وبالتالي فالملك الذي يأخذ كلّ سفينة غصباً , يرمز — ممّا يرمز إليه — إلى ملك الموت الذي يأخذ كلّ نفس , وبجيت لا تُستثنى نفسٌ من أخذه .. فالصورة القرآنيّة ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ يظهِر إطلاقها جلياً

عبر هذه الرموز , فقولته تعالى ﴿ كُلُّ سَفِينَةٍ ﴾ يعني عدم استثناء أيّ سفينة في الوجود ,

وهذا التجسيد الرمزي تقابله الصورة القرآنيّة ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت :

57] , والصورة القرآنيّة التالية ﴿ قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [

السّجدة : 11] وهكذا فالرحلة الأولى ترمز إلى المرحلة الأولى من رحلتنا التي تبدأ بالدنيا , وتمرُّ بعالم البرزخ , وتنتهي بالآخرة ..

وفي عالم الدنيا هذه — حيث ترمز الرحلة الأولى — لا نستطيع أن نصل في اليقين

إلاّ إلى درجة الخبر (العلم) , وذلك بسبب انصياعنا لأغطية الغيب , فلن نستطيع أن

نصل إلى مرحلة عين اليقين فنشاهد الحقيقة الغائبة , ولا مرحلة حقّ اليقين فنعيش هذه الحقيقة الغائبة .. وهكذا .. فالرحلة الأولى ترمز أيضاً إلى المرحلة الأولى من مراحل اليقين وهي علم اليقين ..

لقد رأينا كيف أنّ اختيار موسى عليه السّلام ليمثّل بحر العلم الظاهر , ليس عبثاً , فموسى عليه السّلام انفعاليّ ويأخذ بالظاهر , واسم موسى هو الأكثر ظهوراً في القرآن الكريم من بين أسماء الأنبياء والمرسلين عليهم السّلام , فقد ورد (136) مرّة , ومعجزة موسى عليه السّلام لم تتعدّد عالم الظاهر , كشقّ البحر وإخراج يده بيضاء و وقد تفاعل مع بشر لا يؤمنون إلاّ بالظاهر , وما أكثر الأدلّة التي تُثبت ذلك , وعلى رأس هذه الأدلّة جعلهم رؤية الله تعالى جهرّة أوّل شرطٍ لكي يؤمنوا ..

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ

تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة : 55]

وهكذا نرى أنّ هناك توافقاً بين عمق الرحلة الأولى والتي لم تخرج من عالم الظاهر ولم يُرفع فيها إلاّ غيب المكان , وبين ماهيّة الديانة السماويّة الأولى (من بين الديانات السماوية الثلاث) والتي لم تخرج هي ومتبّعها من ساحة الظاهر .. إذاً الحادثة الأولى ترمز لعالم الدنيا وعالم الأسباب الظاهرة وترمز لعلم اليقين الذي يُعدّ المرحلة الأولى من مراحل اليقين , وترمز لرسالة موسى عليه السلام ومعجزته التي لم تخرج عن عالم الظاهر ..



ومن الطبيعي أن يكون هناك تعارضٌ بين ظاهر الحادثة الأولى وباطنها , ففي هذه المرحلة التي ترمز إلى عالم الدنيا والظاهر , حيث مرحلة اليقين خريّة (علم يقين) , لم يتم بلوغ مرحلة حقّ اليقين بعد .. ولذلك يظهر — من منظار عالم الظاهر الذي ترمز له الرحلة الأولى — تعارضٌ بين ظاهر الحادثة الأولى وباطنها , فحرق السفينة ظاهره شرٌّ وباطنه خيرٌ ..

وفي هذه المرحلة التي ترمز لعالم الدنيا والظاهر , نرى ارتباط إرادة العبد الصالح بالعب **﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾** مع أن حقيقة المراد هو الخير والنّجاة .. هذه المسألة هي تجسيدٌ لحقيقة مُراد الله تعالى في كلّ حادثة من حوادث عالمنا الظاهر تقف وراءها إرادة الله تعالى .. ولقد رأينا في النظرية الثانية (القدر) أن إرادة الله تعالى التي ترتبط بالخير لا ترتبط بالشرّ نقيض الخير ، وتوهم بعضهم بارتباط إرادة الله تعالى بالشرّ , ناتجٌ عن عدم إدراكهم لحقيقة الأمر , وعن وضع تصوّرهم المادّي السّطحي لظواهر الأمور مقياساً

وإطاراً يقيسون فيه ويؤطرون من خلاله حقيقة الحكمة الكامنة وراء الأحداث الظاهرة .. فكل ما يُصينا في هذا العالم الظاهري من حوادث لم نخترها بأيدينا , وبعيداً عن إرادتنا , ونحسبها شراً هي في حقيقتها (من منظار الحكمة الغائبة عنّا) خيرٌ يريد الله تعالى لنا .. وهكذا فإنَّ حرق السفينة بالنسبة للمساكين هو في حقيقته خيرٌ لا شرٌّ .. ولكن لماذا لم يمنع العبد الصالح سفر السفينة دون أن يحدث بها عيباً , كأن يُخبر أصحاب السفينة وأهلها بما ينتظرهم من غيب؟! .. وهذا أفضل للمساكين أصحاب السفينة , وذلك بأن تبقى سفينتهم سالحةً دون عيب فيها ..

.. تكون الحادثة في أكمل صورها حين يتطابق فيها الظاهر المُشاهد مع الحكمة الباطنة , وبحيث يكون الظاهر هو الصورة المادية للحكمة الباطنة في عالم الظاهر .. فلو اقترن منع السفينة من السفر مع بقائها سالمة دون عيب , أي لو ترافقت سلامتها من العيب مع سلامتها من الاغتصاب , لكانت المسألة في أكمل صورها , ولكن ما الذي يجعل الظاهر أحياناً يحمل عيباً ؟ ... إنه الإنسان الذي لا يؤمن إيماناً كاملاً بحقيقة الغيب , ولا يصدق تصديقاً كاملاً خبر الغيب , فيبقى أسيراً لتصوراته المادية المحكومة لقوانين هذا العالم الظاهر ..

ففي هذه القصة وعلى الرغم من إيمان موسى عليه السلام الكامل بالله تعالى وما يخبره الله تعالى , إلا أنه لم يأخذ بنصيحة العبد الصالح حين قال له ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٢٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿ .. فأجابه موسى جواباً مرسوماً بمادة عالم الظاهر الذي ينتمي إليه .. ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ..

ووجود الملك الذي يأخذ كل سفينة غصباً , يُعدُّ غيباً بالنسبة لأهل السفينة , ومن يضمن تصديقهم للعبد الصالح إن أخبرهم عن حقيقة وجود الملك , وبضرورة العدول عن السفر ؟ .. فلو علم العبد الصالح أنهم سيصدّقونه إن أخبرهم بذلك , لما حرق السفينة ..

هذه المسألة هي تجسيدٌ لحقيقة موجودة في النفس البشرية (التي هي كما رأينا من رموز السفينة) .. فحين يجتمع في النفس الإنسانيّة الإسلام (الشعائر الحسيّة التي تنتمي لعالم الظاهر) مع الإيمان (الاطمئنان للمسائل الغيبية خلف أغطية الغيب) تكون النفس في أكمل صورها , وفي انسجام تامّ ما بين ظاهرها وباطنها , وحين يُوجد في النفس عنصرٌ من هذين العنصرين دون الآخر , يحدث عيبٌ نتيجة افتقارها للعنصر الآخر .. فحين قيام الإنسان بالشعائر (أركان الإسلام) دون إيمان بأركان الإيمان الغيبية , يكون ذلك كمثل الجسد دون النفس , وحين يؤمن الإنسان بأركان الإيمان الغيبية وبالمنهج كاملاً ولكن دون تنفيذ مُراد الله تعالى الذي يحمله المنهج في عالم الحسّ , يكون ذلك خيالاً لا علاقة له بالواقع المحسوس ..

وهكذا نرى أنّ الحادثة الأولى تبين لنا وجهاً من أوجه الإرادة الإلهية الخيرة , التي لها ظاهرٌ يحسبه بعض البشر شراً , وهو تعطيل الأسباب تعطيلاً جزئياً بين أيدي بعض البشر بغية دفع الشرّ عنهم , وهذا التّعطيل — كما رأينا — من منظار الحكمة الغائبة هو خيرٌ لهم وليس شراً

ويعود العبد الصالح فيذكر موسى عليه السّلام — بعد أن فقد موسى صبره واحتجّ على خرق السفينة — بما نسيه , وهو أنّ وضع الأمور في ميزان الظاهر يُوهم بتعلّق إرادة الحكمة الغائبة بالشرّ , وبالتالي عدم الصبر على الأحداث ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ .. ويردّ موسى عليه السّلام معترفاً بنسيانه طالباً الصّفح عن ذلك , وبأن لا يرهقه العبد الصالح من أمره عسراً , وذلك عبر ركنين متناظرين تماماً , فكلُّ ركن هو (19) حرفاً ..

﴿ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا نَسِيتُ ﴾ = 19 حرفاً

﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ = 19 حرفاً

فعدم مؤاخذته بما نسي يؤدّي إلى عدم إرهاقه من أمره عُسراً .. وإنّ عدم إرهاقه من أمره عُسراً , ناتج عن عدم مؤاخذته بما نسي ..

وبعد نهاية رحلتها الأولى سينطلقان عبر ﴿ مَجْمَعٌ بَيْنَهُمَا ﴾ لخرق حاجزٍ آخر من حواجز الغيب .. ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ ..

إنّ الغلام — بالنسبة لأبويه — رمز الزمن المستقبل , فهو الذي يرثهما مادياً ومعنوياً في المستقبل , وبالتالي هو استمرارهما في الزمن المستقبل .. هذه الحقيقة نراها جليّة في قصة زكريا عليه السلام , فحين بلغ من الكبر حداً كبيراً , وخاف على مستقبل إرث آل يعقوب , وأراد استمراراً زمنياً له ليليه , وطلب من الله تعالى ذلك ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٦﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٧﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ۗ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : 4 - 6] .. حين ذلك .. نرى أنّ الله تعالى استجاب له , وحقّق مُرادَه بأن وهب له غلاماً .. ﴿ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : 7] ..

وهكذا .. فالغلام الذي لقيه هو رمز الزمن المستقبل , وقتله يعني قتل الزمن المستقبل بالنسبة له ولما يخصّ والديه به .. فبمجرد أن لقيه , رفع الله تعالى عن العبد الصالح غطاء غيب الزمن المستقبل , وبالتالي تلاشى الزمن في هذه الحادثة , وهذا ينفي التريث والتّمهّل اللذين يرتبطان بالزمن , وبالتالي نرى ارتباط حرف الفاء بحادثة القتل ﴿ حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴾ , وهذا يختلف عن الحادثة الأولى التي لم يُخرق بها إلاّ غيب المكان , وحيث يحتاج خرقه (عبر السفينة) إلى زمن ولمّا كان الزمن المستقبل مجهولاً

بالنسبة لموسى عليه السّلام , نرى أن الغلام (رمز الزمن المستقبل) يأتي نكرة ولم يأت معرفة كما هو الحال في السفينة ..

إذاً في هذه المرحلة تمّ الخروج نهائياً من عالم الزمان والمكان , وبالتالي الدخول في عالم آخر لا يعلم عنه موسى — في حياته الدّنيا — شيئاً , وهو عالم ما وراء المادّة والمكان والزمان .. وهكذا ففي حين ترمز الرحلة الأولى لعالم الدنيا , نرى أن الرحلة الثانية ترمز لعالم البرزخ خلف عالم الدنيا , هذا العالم الذي نخرج حين دخوله — عبر الموت — من ساحة المادّة والمكان والزمان .. ففي عالم البرزخ بعد الموت والخروج من الدنيا وقبل الآخرة يتمّ التحرُّر نهائياً من قانون المكان والزمان , لذلك لا نحس بالزمن ..

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَلَّفُونَ بِبَيْنِهِمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

[طه : 102 – 104]

﴿ قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴾ [المؤمنون : 112 – 113]

.. وفي حين ترمز الرحلة الأولى — بالنسبة لمسألة اليقين — إلى مرحلة الخبر (علم اليقين) فإن الرحلة الثانية حيث يتمّ الخروج نهائياً من عالم الدنيا , ترمز لمرحلة عين اليقين .. فقبل الجزاء في الآخرة , وأثناء قيام المحرم بجريمته , يُعرَضُ الكفَّار على النار غدوًّا وعشيًّا (ما نراه هنا ، أنهم هم يُعرضون على النار ، وليس هي من تُعرض عليهم) ..

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : 46]

والصورة القرآنيّة التالية تصوّر (من زاوية اليقين) مرحلتيّ الرحلتين الأولى والثانية ..

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥٠﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّ عَذَابَ الْيَقِينِ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : 5 - 8]

فالعبارة القرآنية ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥٠﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ساحتها الدنيا وتقابلها في القصة التي بين أيدينا الرحلة الأولى .. والعبارة القرآنية ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّ عَذَابَ الْيَقِينِ ﴾ ساحتها عالم البرزخ , وتقابلها في هذه القصة الرحلة الثانية .. والعبارة القرآنية .. ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ ساحتها الآخرة وتقابلها في هذه القصة (كما سنرى إن شاء الله تعالى) الرحلة الثالثة ..

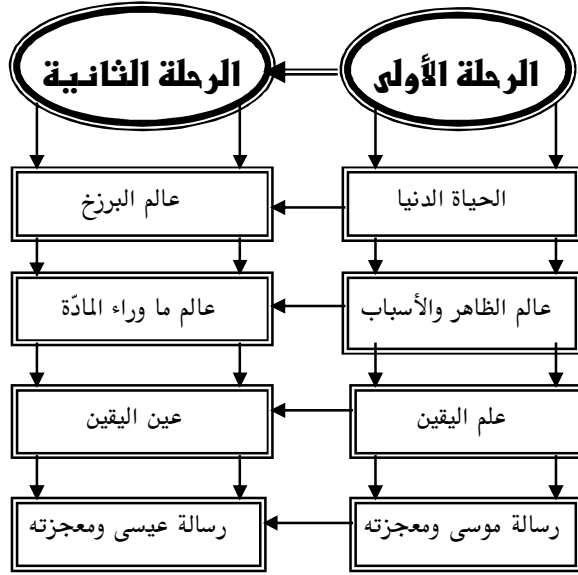
وكما رأينا أن الرحلة الأولى ترمز — بالنسبة للرسالات السماوية الثلاث الرئيسة — إلى رسالة موسى عليه السلام ومعجزته .. فإن الرحلة الثانية ترمز إلى رسالة عيسى عليه السلام ومعجزته , ففي الرحلة الثانية تم الخروج نهائياً من عالم الظاهر , ورسالة عيسى عليه السلام جاءت لإخراج رسالة موسى عليه السلام من عالم الظاهر الذي أطرت به من خلال البشر ..

فمجيء عيسى عليه السلام إلى الدنيا دون الأسباب الظاهرة التي يأتي بها البشر , وذلك دون أب , ومعجزاته كإحياء الموتى بإذن الله تعالى , والتفخ في الطين الذي يعمله على هيئة الطير فيكون طيراً , وإبراء الأكمه والأبرص , وإخبارهم بما يأكلون ويدخرون .. كل ذلك دليل على أنه جاء بالجانب الروحي المكمل للجانب المادي في رسالة موسى عليه السلام ومعجزته ..

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿49﴾ [آل عمران : 49]

إذاً في الانتقال من الرحلة الأولى (خرق السفينة) إلى الرحلة الثانية (قتل الغلام) , تمّ الانتقال من عالم الدنيا إلى عالم البرزخ , وتمّ الانتقال من عالم الظاهر والأسباب إلى عالم ما وراء المادّة والمكان والزمان , وتمّ الانتقال من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين , وتمّ الانتقال من رسالة موسى عليه السّلام ومعجزته إلى رسالة عيسى عليه السّلام ومعجزته ..



.. ولماذا قتل العبد الصالح الغلام ؟ .. قتله لأنّه علم أن أبويه مؤمنان ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وعلم أنّه يحمل إرادة طاغية كافرة كامنة في نفسه سترجمها في الزمن المستقبل (فيما لو بقي حياً) إلى أعمال الطغيان والكفر , وبالتالي سيُرهق والديه

المؤمنين بهذه الأعمال ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ .. فالعبد الصالح لا يريد السَّير (بالنسبة للغلام المقتول) على محور الزمن المستقبل الذي يرمز له هذا الغلام .. إنَّ هذا المشهد من القصة هو تجسيدٌ لسُنَّةٍ من سُننِ الله تعالى التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر ، وهي أنَّ الإيمان الصادق للأبوين ينفعهما في حياتهما مع ذريَّتهما ، ويحميها من الطغيان والكفر الذي من الممكن أن يسبِّبه لهما الأولاد ..

وقتل الغلام كان خيراً للأبوين المؤمنين ، وخيراً للغلام المقتول ذاته ، فقتله في هذه المرحلة يعني منعه من القيام بأعمال الكفر والطغيان التي تحملها إرادته الكامنة بذاته ، وبالتالي عدم حمله للإثم المترتب على هذه الأعمال ..

ففي هذه الحادثة — كما نرى — إسقاطٌ لسُنَّةٍ من سُننِ الله تعالى ... إنَّ كون الأبوين مؤمنين ، وَمَنَعَ اللهُ تعالى لأولادهما أن يرهقهما طغياناً وكُفراً ، هو الطرف الأول في معادلة هذه السُنَّةِ الإلهية ، وإنَّ إبدال الله تعالى للأبوين المؤمنين أولاداً أقرب إلى الخير والطهارة ، هو الطرف الثاني في هذه المعادلة ، هذه الحقيقة نراها واضحةً جليَّةً عبر التناظر التام بين طرفي هذه المعادلة ، تناظر ينعكس في مجموع الحروف المرسومة في كلِّ طرف ، فكلُّ طرفٍ مكوَّنٌ من (40) حرفاً ..

﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ = 40 حرفاً

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ = 40 حرفاً

والطرف الآخر من هذه المعادلة نراه معادلةً مكوَّنةً من ركنين متناظرين تماماً ، كلُّ ركنٍ هو (20) حرفاً ..

﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ = 20 حرفاً

﴿ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ = 20 حرفاً

فإبدال الله تعالى للمؤمنين لا يكون إلا خيراً وأقرب رحماً .. ومن جهة أخرى لا يكون إبدال الخير والأقرب رحماً إلا نتيجة الإيمان الصادق ..

وفي تمايز المنظرين الظاهر والباطن بالنسبة لمسألة التزكية (منظر موسى ومنظر العبد الصالح) إسقاط لسنة الله تعالى .. فقول موسى بأن الغلام ذو نفسٍ زكية ﴿ أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ هو تزكية مبنية على الظاهر , مع أن التزكية يجب أن تُبنى على حقيقة باطن الذات , وترتبط بالعلم المسبق بمراد النفس وبحقيقة عملها في المستقبل , وهذا لا يكون إلا بكشف غطاء غيب الزمن المستقبل كما حصل مع العبد الصالح هذه الحقيقة التي يجسدها هذا المشهد من القصة التي بين أيدينا تصوورها لنا الصورتان القرآنيّتان التاليتان ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ^ط بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا ﴿٥٤﴾

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٥﴾ [النساء : 49 - 50]

﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ^ط هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ [النجم : 32]

وهذه الحادثة (قتل الغلام) تُلقى الضوء على وجهٍ آخر من أوجه الإرادة الإلهية التي يتوهم بعضهم بارتباطها أحياناً بالشر , وذلك نتيجة جعل منظرهم الدنيوي المحكوم للظاهر مقياساً يقيسون فيه حقيقة هذه الإرادة ..

فتحديد عمر الإنسان من الله تعالى , تحيط به الحكمة الإلهية إحاطة مطلقة , ويكون بحيث يستكمل الإنسان امتحانه العادل في هذه الدنيا , ولو علم الله تعالى بعلمه الكاشف أن تمديد عمر الإنسان سيكون لصالحه , لما أماته في الوقت الذي أماته فيه , ولمدد عمره , فالله تعالى يعلم علماً مطلقاً حقيقة العمل الذي سيقوم به الإنسان فيما لو لم يمِت ..

﴿ وَلَن يُوَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا^ط وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون : 11]

وحتى لو عاد الكفار للامتحان من جديد في الحياة الدنيا , فسيعودون للكفر , وستكون نتيجة امتحان عودتهم هي ذاتها التي حصلوا عليها في امتحان الدنيا قبل مماتهم ..

﴿ وَلَوْ زِدُوا لَعَادُوا لِمَا بُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : 28]

وفي الانتقال من الرحلة الأولى إلى الرحلة الثانية نرى تصعيداً في خرق أغطية الغيب , يرافقه تصعيداً في ردّ العبد الصالح على احتجاج موسى عليه السّلام .. ففي حين قال له في المرة الأولى ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ نراه في ردّه الثاني يُصعّد من شدة لهجته , وذلك بزيادة كلمة ﴿ لَّكَ ﴾ ... ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ويرافق هذا التصعيد تصعيداً آخر , هو في إرادة فعله للأعمال التي قام بها , ففي حين نسب إرادة فعل الحادثة الأولى لنفسه ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ , نراه يصعّد ذلك في الحادثة الثانية ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا ... ﴾ فما هو سرُّ هذا التصعيد ؟ .. في الحياة الدنيا التي ترمز لها الرحلة الأولى يملك الإنسان إرادة مستقلة تعود إلى جوهر ذاته , ولذلك نرى أن العبد الصالح ينسب — في هذه الرحلة — إرادة الفعل لنفسه .. ولمّا كان عالم البرزخ مرحلة انتقالية بين الدّنيا والآخرة , أي بين إرادة الإنسان الحرّة التي أعطيت له من أجل امتحانه , وبين إرادة الله تعالى , نراه يقول في الحادثة الثانية ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ وهي صيغة وسطى بين الإرادة الحرّة المستقلّة عن إرادة الله تعالى في الرحلة الأولى ﴿ فَأَرَدْتُ ﴾ , وبين إرادة الله تعالى في الرحلة الثالثة ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ ..

وهذا التصعيد الذي قام به مُمثّل عالم الحكمة الغائبة أثناء الرّحلة من عالم الظاهر إلى عالم البرزخ , يقابله تراجع من مُمثّل عالم الظاهر (موسى) .. ففي الرحلة الأولى , وبعد تنبيه العبد الصالح لموسى قال موسى ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ

﴿ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ , وبعد تنبيه العبد الصالح له تنبيهاً أكثر شدة , نراه يتراجع فيقول ﴿ قَالَ
 إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ ..

وفي هذه العلاقة العكسية التي نراها بين تصعيد الدخول من عالم الظاهر إلى عالم
 الباطن عبر رفع أغطية الغيب , ولهجة العبد الصالح في تنبيهه لموسى , وإرادة العبد الصالح
 , وبين تراجع موسى عليه السلام .. في هذه العلاقة العكسية إسقاطاً لسنة لا تتبدل ولا
 تتغير ..

إنَّ الدُّنْيَا (عالم الظاهر) تُناقضها الآخرة (عالم اليقين المطلق) , ولذلك رأينا في
 النظرية الأولى (المعجزة) أنَّ كلمتي الدُّنْيَا والآخرة , تردان في القرآن الكريم بشكلٍ
 متناظر , فكلُّ كلمةٍ منهما ترد (115) مرّة .. وتعلُّق الإنسان (كإرادة) بالدنيا , هو
 على حساب تعلُّقه (كإرادة) بالآخرة , والعكس بالعكس , فبمقدار ما يتعد الإنسان
 عن الدنيا (كشهوة وهبوط روحي) يقترب من الآخرة , وبمقدار ما يرتبط بالدنيا
 (كشهوة وهبوط روحي) يبتعد عن الآخرة .. ولذلك عندما تقترن إرادة الإنسان
 (قصده وهدفه وغايته) بالدُّنْيَا , فهذا يعني أنَّها لا تقترن بالآخرة , وبالتالي حرمانه من
 نصيب الآخرة .. والصورة القرآنية التالية تُلقي الضوء على هذه الحقيقة ..

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : 20]

وكما هو الحال في الحادثة الأولى , حيث افترق الظاهر (حرق السفينة) عن الباطن
 (نجاة) , هُنا أيضاً وبما أننا ما زلنا في مرحلة عين اليقين ولم نتجاوزها بعد إلى مرحلة
 حقِّ اليقين , نرى أنَّ الظاهر (قتل الغلام) يفترق بظاهره عن الباطن (نجاة الغلام وأبويه
 من الآثام) .. فظاهر الأمر شرٌّ , وباطنه خير ..

وبعد أن احترقا برزخ المكان في الرحلة الأولى , وبرزخ المكان والزمان في الرحلة

الثانية , سينطلقان (عبر رحلتهم الثالثة) لاخترق البرزخ الأخير من برازخ الغيب ..

﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ..

لقد رأينا في النظرية الثالثة (الحق المطلق) أن القرية تصف الجانب الفكري العقائدي للتجمعات البشرية .. والعبارة القرآنية ﴿ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾ تشير إلى اختراقهما الجانب الفكري العقائدي الأخلاقي وامتحان هذا الجانب .. وتكرار كلمة أهل ما بين الإتيان إليهم ﴿ أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ وبين طلب الطعام ﴿ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا ﴾ يُشير إلى أنَّهما استطعا جميع أهل هذه القرية ..

.. وما دام طلبهما من أهل القرية هو الطعام , فلماذا لم يقل الله تعالى (فأبوا أن يطعموهما) بينما يقول ﴿ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ ؟ ... طلب الطعام يُظهر - للمطلوب منه - الحاجة الصادقة , فهما لم يطلبوا مالاً ولا شيئاً يُدَّخر ويُستفاد منه لاحقاً , وأهل هذه القرية رفضا ليس تقديم الطعام فحسب , بل رفضاً أيضاً استقباهما وتضيفهما , وفي هذا إشارة إلى حجم الانهيار الفكري والعقائدي عند أهل هذه القرية , وإلى حجم اللؤم الكامن في أنفسهم ..

وفي العبارة القرآنية ﴿ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ في حين كون المطلوب طعاماً , إشارة إلى أن هدف العبد الصالح ليس الطعام , إنَّما هو امتحان الجانب الفكري والعقدي والأخلاقي , هذا - إضافة لما ذكرنا - ما يُقَوِّي كون العبد الصالح ملكاً من الملائكة , فالملائكة قد يكونون ضيوفاً دون أن يأكلوا أو يشربوا , ودليل ذلك الملائكة الذين كانوا ضيوفاً عند إبراهيم عليه السَّلام ..

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود : 69 - 70]

والبرزخ الذي تمَّ اختراقه في هذه الرحلة أعمق من البرزخين السابقين , فالدُّخول إلى الإرادة والعقيدة والفكر يعني - إضافة لرفع أغطية المكان والزمان - رفع غطاء غيب الجوهر والباطن والحقيقة , والوصول إلى مرحلة حقِّ اليقين .. فمسألة طلبهما للطعام وعدم تضييف أهل القرية لهما , مسألة لها ظاهر يتعلَّق بهم كبشر (أنفس + أجساد) , ولها باطنٌ وجوهرٌ يتعلَّق بأنفسهم المجرَّدة عن الجسد المتعلِّق بعالم الظاهر .. فعبر هذه الرحلة تمَّ الوصول إلى نهاية عالم الباطن والحقيقة , ومعرفة حقيقة الإرادة المرتبطة بأنفس أهل هذه القرية ..

إذًا في هذه الرحلة تمَّ اختراق جميع أغطية الغيب اختراقاً تصاعدياً بالاتِّجاه الأعمق , للوصول إلى جوهر الحقيقة وماهيتها ... فقول العبد الصالح ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ يكشف عن حقيقة يستطيع أيِّ إنسان أن يعرفها وذلك بالسؤال عن أصحاب هذا الجدار .. بعد ذلك .. يُرفع الغطاء الأوَّل والأسهل من أغطية الغيب وهو غيب المكان الذي رُفِع في الرِّحلة الأولى , فيقول العبد الصالح ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ , فكما قلنا نستطيع نحن في هذه الدنيا حرق هذا الغطاء , من أغطية الغيب إذا توفَّرت الشروط المناسبة .. بعد ذلك يتمُّ تصعيد اختراق أغطية الغيب , فيتَّم حرق الزمن الماضي الذي يُعدُّ حرقه أعمق من حرق غيب المكان , فيقول ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ .. بعد ذلك .. يتمُّ تصعيد اختراق أغطية الغيب , فيتَّم حرق غيب الزمن المستقبل , وهو

ما تمَّ حرقه في الرحلة الثانية , فيقول ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَثْرَهُمَا ﴾ ..

إذاً في حرق هذه الأغطية تمَّ الخروج هائباً (كما هو الحال في الرحلة الثانية) من عالم المادة والمكان والزمان .. ولكن ما يُميِّز هذه الرحلة هو الدخول إلى حقيقة الأمر , فعدم تضييف أهل القرية لهما هو حقيقة مشاهدة رآها موسى كما رآها العبد الصالح , ولكنَّ العبد الصالح رُفِعَ عنه غطاء غيب الجوهر والباطن والحقيقة (الغطاء الأخير والأعمق من أغطية الغيب) , فاستنتج - من خلال عدم تضييفهم لهما - حقيقة أنفسهم , وبالتالي سرقتهم لكثرة الغلامين اليتيمين فيما لو تمَّ استخراج الكثر قبل أن يبلغا أشدهما .. وبالتالي يجب منع الجدار الذي يُغَطِّي الكثر من الانهيار حتى يبلغ اليتيمان أشدهما , وبالتالي يجب إقامة الجدار , وفي هذا الاستنباط من عدم تضييفهما , ما يُقَوِّي ما ذهبنا إليه وهو أنَّ طلب الطعام إنَّما كان من أجل الاختبار وليس من أجل الطعام , وبالتالي ما يُقَوِّي من كون العبد الصالح ملكاً من الملائكة ..

وفي حين أنَّ الرحلة الأولى ترمز إلى الحياة الدنيا , وترمز الرحلة الثانية إلى حياة البرزخ , ترمز الرحلة الثالثة والأخيرة إلى عالم الآخرة , وهي رحلتنا الأخيرة في هذا الوجود , حيث يتمُّ الوصول إلى نهاية الحقيقة والحكمة الغائبة ..

وفي حين ترمز الرحلة الأولى إلى عالم الظاهر والأسباب , وترمز الرحلة الثانية إلى عالم ما وراء المادة والمكان والزمان , ترمز الرحلة الثالثة والأخيرة إلى عالم الخلود .. وفي حين ترمز الرحلة الأولى - بالنسبة لمراحل اليقين - إلى مرحلة علم اليقين , وترمز الرحلة الثانية إلى مرحلة عين اليقين , ترمز الرحلة الثالثة إلى والأخيرة - عبر رفع غيب الجوهر والباطن والحقيقة والوصول إلى الحقيقة الأخيرة - إلى المرحلة الأخيرة من مراحل اليقين وهي مرحلة حقّ اليقين ..

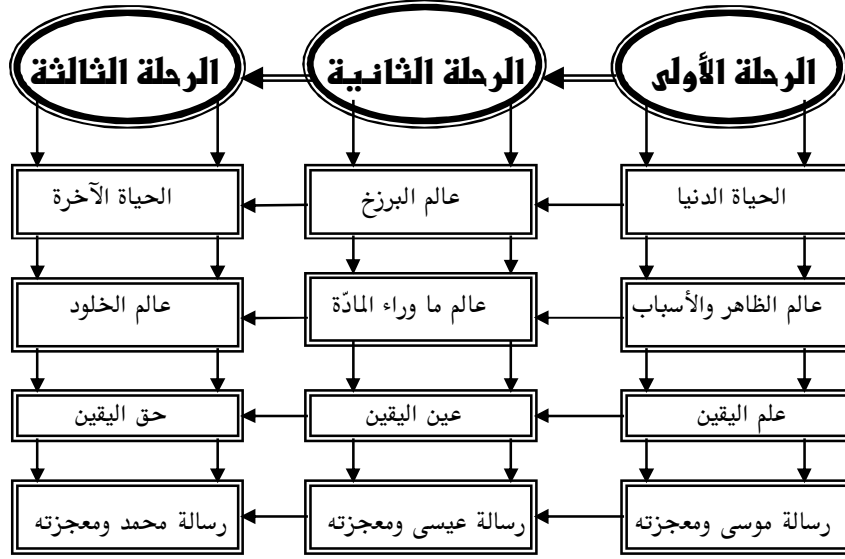
وفي حين ترمز الرحلة الأولى إلى رسالة موسى عليه السَّلَام ومعجزته , وترمز الرحلة الثانية إلى رسالة عيسى عليه السَّلَام ومعجزته , ترمز الرحلة الثالثة والأخيرة إلى الرسالة والمعجزة الأخيرة إلى المخلوقات المكلفة , وهي رسالة محمد ﷺ والمعجزة التي أُيد بها من الله تعالى إلى البشريّة .. فكما أنّه تمّ في الرحلة الثالثة حرق جميع أغطية الغيب والوصول إلى نهاية الحقيقة .. كذلك هي الرسالة الأخيرة شاملة كاملة حاوية على جميع الجوانب المادّية والروحيّة , فالمعجزة الأخيرة (القرآن الكريم) حاملة للحقيقة الكاملة , بحيث لا تُحيط بها المخلوقات ..

فأحكام هذه الرسالة ليست حاوية على مسائل الظاهر فقط (كما هو الحال في الرسالة الأولى) , وليست حاوية على مسائل الرّوح فقط (كما هو الحال في الرسالة الثانية) , بل هي إضافة إلى أنّها تحمل أحكاماً مترنّة بين المادّة والروح , لها وجه (وجه التأويل) لا يحيط به إلاّ الله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : 7] , وكما أنّ الرحلة الثالثة ترمز للآخرة , فإنّ هذا الوجه من التأويل للقرآن الكريم لا يأتي إلاّ في الآخرة ..

﴿ وَلَقَدْ جَمَعْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف : 52 - 53]

إذاً في الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية إلى المرحلة الثالثة في هذه القصة , نرى تجسيدا لرحلتنا عبر الوجود من الدنيا إلى البرزخ إلى الآخرة , ونرى تجسيدا لتفاعلنا مع عالم الظاهر والأسباب إلى عالم ما وراء المادّة والمكان والزمان إلى عالم الخلود , ونرى تجسيدا لرحلتنا - عبر اليقين - من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حقّ اليقين , ونرى

تجسيدياً لرحلة البشرية مع الرسائل السماوية ومعجزاتها الثلاث ، من رسالة موسى عليه السلام ومعجزته ، إلى رسالة عيسى عليه السلام ومعجزته ، إلى رسالة محمد ﷺ والمعجزة التي أُيد بها ..



.. وفي حين يوجد تعارضٌ بين ظاهر الفعل وباطنه كما رأينا في الرحلتين الأولى والثانية ، حيث اليقين هو علم يقين وعين يقين ، ولم يتم بلوغ حقيقة الحكمة (حقّ اليقين) .. نرى أنّه في الرحلة الثالثة ، حيث تمّ بلوغ مرحلة حقّ اليقين والوصول إلى نهاية الحكمة ، لا يوجد تعارضٌ بين ظاهر الفعل وباطنه ، فإقامة الجدار في الحادثة الثالثة لا تحمل الشرّ ، وفي الوقت ذاته فإنّ باطن هذا الفعل هو خيرٌ وليس شرّاً ..

وفي ذلك انعكاسٌ لسلامة المناهج الثلاثة من التحريف والتبديل ، ففي حين حُرّف بعضُ جوانب منهجي موسى وعيسى عليهما السلام ، واختلفت حقيقتهما المُرادّة من الله تعالى عمّا يدعيه بعض البشر عنهما ، ضمن الله تعالى منهج رسالة محمد ﷺ من

التحريف والتبديل .. هذه الحقيقة .. نراها واضحة جليّة عبر التناظر الثام بين الآيتين التاليتين , فكل آيةٍ منهما مكوّنة من (28) حرفاً ..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] = 28 حرفاً

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الحجر : 10] = 28 حرفاً

فحفظ الله تعالى للمنهج المتزل على الرسول محمد ﷺ (كونه حقّ اليقين) , هو نتيجة اختبار البشر في الرّسالات السابقة , حيث حرّف البشر المناهج التي ائتمنوا عليها .. ومن جهةٍ أخرى فإن تحريف البشر للمناهج السابقة (كونها علم يقين وعين يقين) اقتضى تعهد الله تعالى بحفظ منهجه الأخير من التحريف والتبديل ..

.. وفي الرحلة الثالثة ، نرى (كما هو الحال في الرحلة الثانية) أن عناصر الأحداث [﴿ قَرْيَةً ﴾ ، ﴿ جِدَارًا ﴾] تأتي نكرة , وهذا عائدٌ لكون عالم هذه الرحلة (الآخرة) مجهولاً بالنسبة لموسى عليه السلام , كما هو الحال عندما تمّ حرق عالم البرزخ في الرحلة الثانية .. وذلك على نقيض من ساحة فعل الرحلة الأولى ﴿ السَّفِينَةَ ﴾ التي تأتي معرفة , وذلك - كما قلنا - بسبب كون عالم الرحلة الأولى (عالم الدنيا والظاهر) معلوماً بالنسبة لموسى عليه السلام ..

والعبارة القرآنيّة ﴿ أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ ترسم لنا صورة ابتعادهم عن القيم والأخلاق والمبادئ الروحيّة وتمسكهم بالمادّة .. ولكن ما علاقة هذه الصورة بوجود الجدار ﴿ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴾ !! ..

إنّ علاقة أنفسنا بالجسد المادّي هي علاقتها بالدنيا من طعام وشهوة وخضوع للمكان والزمان وكلّ ما هو دنيوي , وحين تخرج أنفسنا من هذا الجسد المادّي (سواء خرجها النهائي بالموت أم خرجها المؤقت بالنوم) , تخرج من عالم الدنيا , وتنقطع

صلتها بهذا العالم .. فهذا الجسد هو جدارٌ بيننا وبين رؤية الحقائق الكامنة ما وراء عالم الظاهر , وهو غطاءٌ يحجز عتاً غيب الحكمة الكامنة وراء عالم الظاهر (عالم المادة والمكان والزمان) .. ولذلك في الآخرة حيث يتم التحرُّر من هذا الجسد الدنيوي يُرفع الغطاء ويَزول هذا الجدار فنرى حقيقة الأمور التي كُنَّا نجهلها قبل رفع هذا الغطاء ..

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : 20 - 22]

والتناظر التام التالي داخل هذا النص يؤكد هذه الحقيقة ..

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ﴾ = 14 حرفاً

﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ = 14 حرفاً

فكشفت الغطاء في الآخرة يضع نهاية للغفلة التي كانت في الدنيا , وبالتالي يجعل بصر الإنسان حديداً .. ومن جهةٍ أخرى ما أصبح بصر الإنسان حديداً ويرى الأمور على حقيقتها , إلا بعد كشف الغطاء عنه ..

.. وهذا الجدار (الجسد) يحول - أحياناً - بين حقيقة ما تخفيه أنفسنا وبين ما تظهره , ولذلك حين رفع الغطاء في الآخرة عن أنفسنا , عندها لا نستطيع إخفاء خافية كما هو الحال قبل انهيار هذا الجدار ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : 18] ..

.. ولذلك فهذا الجدار (الجسد) الذي نبنيه من مادة هذه الدنيا عبر الطعام , حين انهياره - عبر الموت - لا يخرج من عالمه الدنيوي , فبعد الموت تتحلل عناصر الجسد , وتعود ذراته إلى عالم المادة , بينما تعود أنفسنا إلى العالم الذي تنتمي إليه , والذي جاءت منه للامتحان خلف هذا الجدار (الجسد) في هذه الدنيا ..

ولو كان المتمسكون في الدنيا الغافلون عن الحقيقة في عالم ما وراء هذا الجدار ، يعتقدون اعتقاداً سليماً بما وراء هذه الدنيا وبحقيقة أمرها ، لما خافوا من انهيار هذا الجدار الذي يفصلهم عن الحقيقة ، حيث يلوذون خلفه في هذه الدنيا التي هم أحرص الناس على أي شكلٍ من أشكال الحياة فيها ..

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : 94 - 96]

وهكذا .. فالانهيار العقدي والأخلاقي وما ينتج عنه من حرصٍ على الدنيا وشهوتها ، وهذا ما تشير إليه العبارة القرآنية ﴿ فَأَبْوَأُ أَنْ يَضَيَّفُوهُمَا ﴾ ناتجٌ عن وجود جدارٍ يُغَطِّي الحقيقة الغائبة عنهم ، وهذا ما تشير إليه العبارة القرآنية ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا ﴾ .. والعبارة القرآنية ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ تبين لنا أنَّ لهذا الجدار إرادة ، وهي الصورة الوحيدة في القرآن الكريم التي ترتبط فيها الإرادة بما هو مسيرٌ وليس منحيراً ، فما الحكمة من ذلك؟! ..

إنَّ الإرادة هي رمز التَّحْيِيرِ ، ولا يملكها إلاَّ الله تعالى والمخلوقات المكلفة التي مُنحت الإرادة الحرّة بغية امتحانها في هذه الدنيا .. و الإرادة - كما رأينا في النظرية الثانية (القدر) - هي الغاية التي تتَّجه إليه الذات ، والهدف الذي تسير نحوه وفق اختيارٍ ترغبه الذات ... ولكن بالنسبة للمخلوقات غير المكلفة (المسيرة تسيراً كاملاً) والتي لا تملك خيارات (السموات ، الأرض ، الجدار ، ...) تسير وفق خيارٍ واحدٍ لا ثاني له

اختارته بذاتها حينما خيّر الله تعالى مخلوقاته بين تركها تعمل بإرادتها المستقلة ، وبين اختيارها الانصياع الكامل لقانون الله تعالى ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحراب : 72]

فعدم امتلاك المخلوقات غير المكلفة (كالجدار مثلاً) للخيارات ، هو خياراً اختارته بذاتها ، وبالتالي هي منصاعة - بإرادتها الوحيدة التي مُنحت لها مرة واحدة حين عرض الأمانة - للقانون الذي يحكمها .. وهكذا فالصورة القرآنية ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴾ تبين لنا أن الجدار الذي وجداه متّجه - حسب قانون المادّة الذي اختار الانصياع له حينما أُعطي الإرادة مرة واحدة حين عرض الأمانة - باتّجاه غاية حاصلة هي الانهيار ..

وإن إقامة الجدار ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ﴾ تعني أن غطاءً من أغطية

الغيب كاد أن يُكشف فأعاده ، ليحافظ على الغيب إلى الحين الذي يريد الله تعالى فيه أن يُكشف .. وفي هذا إشارة إلى أن أغطية الغيب التي تحكمنها هي لحكمة إلهية مُراد ، وأن عدم كشفها هو - من منظار الحكمة الغائبة - لصالح البشر ..

وكما قلنا بأن الجدار تناسبه كلمة المدينة ولا تُناسبه كلمة القرية ، لأنّه يتعلّق بالجانب المادّي الحضاري ، ولا يتعلّق بالجانب الفكري العقيدي ، فإن ورود الصورة القرآنية ﴿ لِيُغْلَمِينَ يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ إشارة إلى أن هذين العُلامين لا ينتميان عقيدةً وفكراً إلى هذه القرية ، إنّما ينتميان إلى سكان هذه القرية حضارياً ومادياً فقط ..

فكما رأينا في الرحلة الثانية تجسيداً لسُنّة من سُنن الله تعالى التي لا تتبدّل ولا تتغيّر وهي أن إيمان الأبوين يحميهما من أن يرهقهما أبناؤهما الفاسقون .. نرى عبر الصورة

القرآنية التالية تجسيداً لسُنّة من سنن الله تعالى .. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ

يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ..

.. إن الغلامين صالحان , وإشارة لذلك — كما قلنا — هو ورودهما مرتبطين بالمدينة دون القرية , وبالتالي فهما لا ينتميان عقيدةً وفكراً لأهل القرية الفاسدة .. وأبوهما أيضاً صالحٌ كما يقول النصُّ , ولذلك فاجتماع صلاح الأب مع صلاح الابن يفيد الابن ويفيد الأب ويفيد الزوجة إن كانت سالحة .. هذه الحقيقة التي تجسدها هذه القصة , نراها واضحة جلية عبر الصورتين القرآنتين التاليتين ..

﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ [الرعد :

[23

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [غافر : 8]

.. أما إن فسد الابن فلا ينفعه صلاح الأب , ودليل ذلك ابن نوح عليه السلام , وإن فسد الأب فلا ينفعه صلاح الابن , ودليل ذلك هو أبو إبراهيم عليه السلام .. وصلاح الرجل لا يفيد امرأته إن لم تكن سالحة , وفي امرأتي نوح ولوطٍ عليهما السلام أكبر دليل على ذلك .. وصلاح المرأة لا يفيد من هي امرأته إن لم يكن سالحاً , وفي امرأة فرعون أكبر دليل على ذلك ..

وكما رأينا تصعيداً في جميع عناصر الأحداث من الرحلة الأولى إلى الثانية , فإن هذا

التصعيد يبلغ القمة في الرحلة الثالثة ... فقول العبد الصالح ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾

أشد من تنبيهه في الرحلتين السابقتين .. وقوله ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ هو تصعيدٌ وذلك بنسب

الإرادة إلى الله تعالى , ففي الرحلة الثالثة تم الوصول — كما رأينا — إلى حق اليقين , وإلى

عمق لا يحيط به إلا الله تعالى , ولذلك لا بُد من نسب الإرادة في هذه الرحلة إلى الله

تعالى ..

وفي هذا التصعيد عبر الرحلات الثلاث إسقاطاً لسُنَّةٍ من سنن الله تعالى , وهذه السُّنة تلقي الصورة القرآنية التالية الضوء عليها .. ﴿ وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [الزُّحُف: 48] .. فكلّ رحلة - كما رأينا - هي أعمق من سابقتها , ولذلك رأينا في النظرية الثالثة (الحق المطلق) كيف أنّ القرآن الكريم خاتم المناهج والمعجزات هو أعمقها , ولا يُنسخ , وبالتالي هو ناسخٌ لبعض أحكامها .. ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة : 106]

ولو لم يحتج موسى وصبر على ما رآه , لأخبره العبد الصالح بالحكمة الكامنة وراء الأحداث , فليس احتجاجه الذي جعل العبد الصالح يُخبره , ودليل ذلك موجودٌ في شرط العبد الصالح قبل الرحلة .. ﴿ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ .. فالنتيجة سيصل إليها سواءً احتج أم لم يحتج .. وفي هذا إسقاطٌ لحقيقة الإنسان وعجلته في عالم الدنيا .. هذه الحقيقة تصوّرنا لنا الصورة القرآنية التالية ..

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : 37]

وقبل أن يُنبئ العبد الصالح موسى بالحكمة الكامنة وراء الأحداث , كان موسى ينظر إليها من منظار عالم الظاهر الذي ينتمي إليه ويمثله , وفي هذا العالم تفصلنا الأسباب والجهد والتعب عن الوصول إلى الأمور , ولذلك - في هذه الرحلة - يُخاطب العبد الصالح موسى بصيغة الاستطاعة التي تشير إلى الجهد والتعب .. ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ..

وبعد أن أنبأه بالحكمة الكامنة وراء الأحداث , أصبح موسى عليه السَّلَام ينظر إلى هذه الأحداث من منظار الحكمة الغائبة , وبالتالي لم تعد هناك حواجز مادّية (ساحة الاستطاعة) بينه وبين الحكمة الغائبة وراء الأحداث , ولذلك نرى العبد الصالح يخاطبه

بصيغة السّطع التي لا تحتاج لجهد الاستطاعة في عالم الأسباب والظاهر ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ..

ولو عدنا إلى النصّ القرآني الذي يصوّر أحكام هذه القصة وعبرها وأدلتها , وقرأناه من جديد , مستحضرين المسائل التي ترمز إليها شخصيات هذه القصة , لرأينا الكثير الكثير من الحكم والعبر المجردة عن المكان والزمان التاريخ , ترسم صورها من خلال تحرك رموز هذه القصة ..

فكما أنّ التّصوّر القرآنيّ تحمل الحكم والعبر بشكلٍ مجردٍ عن التاريخ , ترسمه رسماً مطلقاً أعظم من مجيئه عبر نصّ قصصيّ تاريخي , كذلك هي القصة القرآنيّة التي تحمل أحداثاً ظاهرها التاريخ , ترسم - عبر رموزها - صوراً للحكم والعبر المجردة عن التاريخ والمكان والزمان , رسماً مطلقاً لا يقلّ عظمة عن مجيئه عبر نصّ ظاهر مجردٍ عن التاريخ .. ومردّ كلّ ذلك هو مطلق التّصوير القرآني المرتبط بصفات الله تعالى المطلقة ..

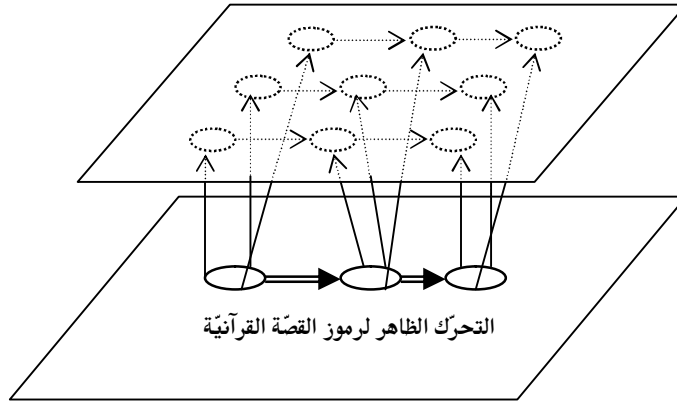
فكما أنّ لكلّ نصّ مجردٍ عن التاريخ إسقاطاته التاريخيّة التي لا تنتهي في كلّ زمان ومكان , كذلك النصّ القرآني القصصي الذي ظاهره التاريخ , هو إسقاطٌ مطلقٌ لحكم وعبرٍ لا تنتهي في كلّ زمان ومكان ..

وهذا التّرميز الذي رأيناه لشخصيات قصة موسى مع العبد الصالح , ولساحات الأفعال التي حدثت , ولارتباط الجمل ببعضها , لا يُشكّل من حقيقة ما ترمز إليه هذه القصة وما تحمله من حكمٍ وعبرٍ , أكثر مما يغرفه رأس إبرة من البحر , فهذه القصة - وكلّ قصة - تُجسّد أحكاماً وعبراً لا يعلم نهايتها إلاّ الله تعالى ..

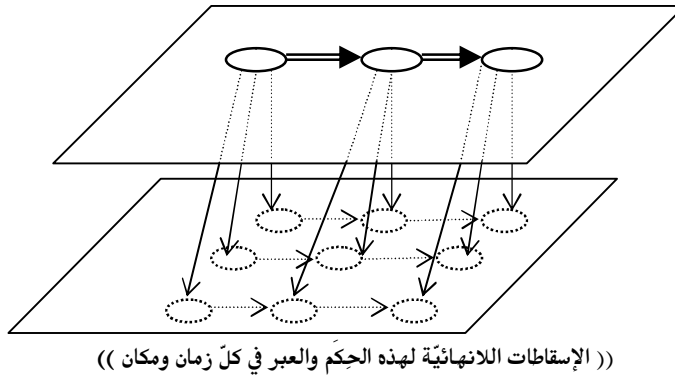
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا

نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : 27]

((الارتسامات اللانهائية للحكم والعبر الكامنة خلف رموز القصة القرآنية))



((تحرك الحكم والعبر في النصوص القرآنية المجردة عن القصة والتاريخ))



((الإسقاطات اللانهائية لهذه الحكم والعبر في كل زمان ومكان))

فالله تعالى الذي يصف القرآن الكريم بأنه تبيانٌ لكل شيءٍ .. ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ
 الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : 89] .. يصف أيضاً القصص القرآنية بأنها ليست
 حديثاً يُفترى , ولكنها هي الأخرى - كونها من القرآن الكريم - تحمل حكماً وعبراً
 وأحكاماً يتمُّ من خلالها تفصيل كلِّ شيءٍ ..

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
[يوسف : 111]

فكما أن القصة تحمل آيات (حكم وعبر وبراهين وأدلة) الله تعالى , كذلك هي آيات الله تعالى يقصها الرسل عليهم السلام ..

﴿ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنعام : 130]

.. فالقصة القرآنية شأنها شأن أي نص قرآني , هي من أجل التفكير و التدبر والنظر إلى ما وراء تحرك رموزها وأحداثها ..

﴿ فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : 176]